عمر الخيام

رباعياته و غرامياته



عمر الخيام

رباعياته و غرامياته

إعداد :

هاني الخيّر

اسم الكتاب: عمر الخيام رباعياته و غرامياته

إعداد ودراسة: هاني الخيّر

سنة الطباعة: 2016.

عدد النسخ:1000 نسخة.

الترقيم الدولي: ISBN 978-9933-22-043-3

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

مؤسسة رسلان علاء الدين للطباعة النشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف:00963115627060

تلفاكس: 00963115632860

ص. ب: 259 جرمانا

WWW.DARRISLAN.COM

عمر الخيَّام

شهادة بقلم الأديب عبد القادر الحصني

عالم كبير هو هذا الرجل الذي شهد له ابن خلدون بأنه أكبر رياضي في المشرق. وهو، في الحق، موسوعي الثقافة: يجمع بين الفيزياء والفلسفة والتاريخ والطب والفلك والموسيقا وعلم المناخ وفقه اللغة العربية والشريعة الإسلامية ولا عجب ففي هذا الشرق يمكن لك أن تقلص الفسحة الفاصلة بين عالم وشاعر، لا سيما من طراز الخيام.

ففي الشرق، عهد ذاك، يبحث عن الحقيقة لذاتها، لا لنفعها. على عكس زمننا الربوي السمج الذي لا يريد الحقيقة إلا لما لها من قدرة على العمل، وهذا ما بلغ ذروته في فلسفته الذرائعية الأمريكية.

وفي الشرق، عهد ذاك، يبحث عن الحقيقة ابتغاء لبرد اليقين، أو تخفيضا لأزمة "الحيرة العظمى التي تتلعثم" على حد وصف "الجيلي" للحقيقة الكلية في كتابه "الإنسان الكامل" (ج1، ص7)، والتي أشار إليها الناقد يوسف اليوسف في كتابه "ما الشعر العظيم؟" (ص61) فعدّها واحدة من أبرز معايير الشعر، وأكد أنه لا بد للشاعر الأكثر توافقا مع الفكرة الكلية المتعالية من أن يعيش "فيها"، ومن أن تجيء لغته مشحونة بقلق اليقين، وأزمة الوضوح. هذا هو الخيام الذي يجمع في شخصه بين الإيمان وبين بضع أسئلة تفتت العقل.. بين حلكة رعب الموت ووضوح زهوة الربيع في محض واحد، هو رباعياته. هكذا. فالخيام لا يبحث في شعره إلا عما يبحث عنه في علمه: إنه لا يبغي سوى حل "لغز القضاء" ولغز هذا الكون المتأبي على الذهن.

كانت حياته مقيتة في نظره، وكان يشمئز من المتعالين والمتفيهقين، وما أكثرهم في كل زمان ومكان.

عـاش بغـير أسـرة، بـالمعنى الـدقيق لهذه الكلمـة، وكتـب الشـعر ارضـاء لنفسـه.. كتبـه ليعبر عمـا يقاسـيه مـن تجربـة وجودية مـرة.. كتبـه لأنـه عـارم بتساؤلات عميقة، عنيفة، معذبة.

الخيام يتساءل: ما هذا؟ أين نحن؟ لماذا يجري كل ما يجري؟

وتلكم هي بالضبط تساؤلات "المعري" من قلبه.

فالخيـام إن لم يكـن عربيـا مـن حيـث الـدم والنسـب -وهـو عربـي علـى الأرجـح- فـإن مضـمونه الشـعري عربـي دون أدنـى ريـب. موضـوعات المعـري نفسـها.. تسـاؤلات المعـري اياهـا.. قلقـة عينـه. وفضـل الخيـام في ذلـك وموضـع أصـالته، إنمـا يتبـديان في صـدقه في التعامـل مـع الأزمـة، وفي عمـق وزخـم حدوسه.

كثرهم الذين أكدوا أن المجموعة المؤلفة من اثنتين وخمسين ومائتين من الرباعيات هـي مـن قـريض الخيـام بشخصـه، ولكـن حتـى هـذه قـد دار حولها نزاع. ولقد بلغ مجموع ما نسب إليه من رباعيات زهاء ألف أو دون ذلـك بقليـل، كمـا جـاء في إحدى الروايـات. ولسـنا نملـك البـت بـأمر هـذه الرباعيـات علـى اليقين والتوكيـد، وإن كانـت الدراسـة الأسـلوبية قـادرة علـى أن تصـنع شـيئاً طيباً في هذا المضمار. وليس هـذا ممـا يضـير الخيـام. فعنـدي أن اقـدام النـاس، بعد الخيام، علـى تـأليف الرباعيـات واصـاقها بالخيـام لهو آيـة علـى قـدرة ذلـك الشـاعر الكـبير علـى التأثير في العصـور، وعلـى أن يكـون نقطـة ابتـداء لحظـة يصر النـاس علـى استمراره.

كونية هو موضوعات الخيام، أقصد أنها تهم البشر في كل مكان وزمان: لئن كان هذا الوجود كاملا، فلماذا يخضع للانصرام؟ ولماذا لا يملك اللحم البشري أن يحتمل طويلا؟ ولماذا يكون الشباب جد قصير إذا ما قورن بعمر الإنسان؟ ثم هذا القلق على المعرفة، وهذه الحيرة أمام سر الكون، وهذه السوداوية الناجمة عن بطلان كل شيء وعن إدراك المصير والمآل مسبقا. وكثيراً ما يطرح الخيام أسئلته على الله نفسه الله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم أخذ يمحو بقدرته هذه الخلقة ليحيلها إلى تراب. وما أروع الخيام وهو يكاد يصعق لفقدان الشباب:

وقد شدا طير الصبا واختفى

متى أتى، يألفها، أين غاب؟

إن حسن الانصرام، وجدان الخسران الدائم، هو القلق المركزي الذي يحرك الخيام برمته. لكأن الخيام ما خلق إلا لينهض بمعنى قوله تعالى: "والعصر إن الإنسان لفي خسر". وكأن "عائشة عبد الرحمن حين فسرت هذه الآية فألمعت إلى معنى العصر "بقولها" إذ اللفت إلى ما يعتصر الزمن من خلاصة الإنسان، بالضغط والمعاناة" (التفسير البياني للقرآن الكريم. ج4. ص77) قد عبرت عن بؤرة التوتر في شخصية عمر الخيام. إلا ان حس الانصرام هذا هو ما يؤسيه حتى سويداء الفؤاد فيبعث في شعره ذلك الشجن الأصلي الذي شد شعره الناس طوال القرون. ومثل هذه الأصالة لا يمكن أن تكتسب. فلئن تبنى الخيام موضوعات المعري، فإنه قد خاضها بما يقتنيه هو من طاقة باطنية عميقة قلما ترضخ للاكتساب. ولعل هذا البيت أن يكون نموذجا لتلك الموضوعة المحورية الشديدة التردد في شعره من جهة والتي تمثل البرهة القبلية في شخصية من جهة أخرى:

تعاقـــــب الأيــــــام يــــــدني الأجـــــل

ومرهـــــا يطويــــــك طــــــي الســــجل

الإنسـان يزحـل صـوب ضـريحه بتـؤدة، والتعاقـب كفيـل بإنجـاز برهـة الختام، وما دام الأمر على هذا النحو، ما دام العمر جد قصير، فلا عـزاء لنـا إلا في الخمـر، فنملأ الكـؤوس قبـل أن يمـلأ الـردى كـأس العمـر، وليسـت قصامة الكائن البشري أو قابليته للعطب والتلف هي وحدها مـا يحـث الخيـام علـى إدمـان الخمـر، بـل ثمـة رغبـة في الرقـي إلى منزلـة ليس وراءهـا أيـة منزلـة تنتظر. أو رغبة في نجاة الروح "من طـين هـذا الجسـد الارذل" وقـد تكـون هـذه الرباعية أوضح ما يوضح لنا هذا الموقف الخيامي من الخمر بوصفها السمو:

لم أشـــــرب الخمـــــر ابتغـــــاء الطـــــرب

ولا دعـــــــــــــتني قلـــــــــــــة في الادب

لكـــــــن احساســـــــــي نزاعــــــا إلى

اطـــــلاق نفســــي كـــان كـــل الســـبب

عند الخمر يفترق الخيام عن المعري وكذلك عند موضوعة المرأة.

المعري عـدمي حقـاً ـ أقلـه في الكـثير مـن مواقفـه ـ أمـا الخيـام فحـان علـى الحياة، متلذذ بها، تروعه مجانيتها ويقض مضجعه بطلانها وسرعة مضيها.

المعـري صـرخة تنـادي باجتثـاث الحيـاة علنـا وجهـرة وبكـل صـراحة. وذلـك قبـل "شـوبنهار" بثمانيـة قـرون أو تسـعة أمـا الخيـام فيتلـذذ بـالخمر والموسـيقا والزهرة والنسمة والجدول وهو للحق يعرف كيف يتلذذ.

تلكـم هـي برهـة الفـرق بـين الـرجلين، أمـا برهـة الجمـع فأوسـع مسـاحة وأرحـب. ذم الخيـام عصـره، ولكـن المعـري قـد ذمـه بـأعنف ممـا فعـل الخيـام.

وأبدى الخيام قلقه بإزاء عجز العقل عن اقتحام مغاليق الكون، وأكثر في هذا. ولكن تلك هي مزية المعري الأولى وشغله الشاغل. موضوعة الانصرام محورية لدى الخيام ولكنها أكمل حضورا لدى المعري وأكثر انتشارا في شعره وإن لم تكن أقل صدقا عند الخيام.

ولئن تتبعنا دقائق التعبير لدى الرجلين (وليست هذه المقدمة بمحل لذلك) لوجدنا الخيام يكاد يضع قدما تماما حيث وضع المعري قدما.

فمثلا يقول المعري: "وليس الخير في وسع الليالي" ويقول الخيام (عن الترجمة العربية طبعا): "وليس في طبع الليالي الأمان"

يقول المعري:

نـــــزول كمـــــا زال أجــــــدادنا

ويبقـــى الزمـــان علـــى مـــا تـــرى

ويقول الخيام:

فقبـــل أن نحيـــا ومـــن مهـــدنا

وهـــذه الـــدنيا علـــى ماهيـــا

ويقول المعري:

ســـران اســـطعت في الهـــواء رويـــدا

لا اختيـــالا علـــى رفـــات العبـــاد

ويقول الخيام (وهذه موضوعة متواترة في الرباعيات):

فـــامش الهـــوينى عـــن هـــذا الثـــرى

مـــن أعـــين ســـاحرة الاحـــورار

ويقول المعري:

فـــلا يمـــس فخـــارا مـــن الفخـــر عائـــد

إلى عنصــــر الفخــــار للنفـــع يضـــرب

لعـــــل انــــاء منـــــه يصـــــنع مـــــرة

فيأكـــــل فيـــــه مـــــن أراد ويشـــــرب

ويحمــــل مــــن أرض لأخــــرى ومــــا درى

فواهــــا لــــه. بعــــد البلـــى يتغـــرب

وموضوعة الفخار هذه يعرفها كل من يعرف شعر الخيام.

وبعد. إني لأغبط في ختام هذه المقدمة الصديق الكاتب "هاني الخير" الذي طارد عمر الخيام ورباعياته في بحث شاق مشوق عبر أربعين مرجعا. وأقدر فيه عاليا أمانة العالم ودقته في تقصي الحقيقة. إذ أن المنهج التوثيقي الذي نهجه في هذا الكتاب قد قدم للعقل آنات أكثر اطمئنانا حول الخيام ورباعياته من قلبه وروحه ما منحه إياه "هاني الخير" من عقله، فيجلو لنا من الأذواق ما حجم عنها هذا الكتاب. بل ليت ناقدا ذواقه يتفرغ لشعر الخيام فيكشف عما يختزنه من مكابدات ومن قلق ومن لوعة عميقة يواجدها الجدان البشري بازاء المصير.

إنه الشجن الكوني الأصلي هذا الذي يهز الإنسان في رباعيات الخيام ويواكب البشرية في كل زمان ومكان.

عبد القادر الحصني

لمحة عامة عن عمر الخيام

من المعروف أن هناك اختلافا بين المؤرخين الذين بحثوا عن سيرة عمر الخيام في تحديد سنة ميلاده ووفاته. غير أنه من المرجح بأنه ولد في عام "1040م" في نيسابور(1) عاصمة خراسان (2)، وتوفي في نيسابور عام "1123م" وبتحديد سنة ميلاده وسنة وفاته يكون الشاعر قد عاش"83" سنة!

اسمه عمر، واسم والده إبراهيم، ولقبه غياث الدين، وكنيته أبو الفتح، وكلمة الخيام تدل على أنها لقب له أو لعائلته.

يقول محمد بن عبد الوهاب القزويني، واضع حواشي كتاب "المقالات الأربع":

"وتسميه العرب بالخيامي، والفرس بالخيام، وهو اختلاف ناشئ من تباين اللغتين".

لم يعثر على نسب الخيام، ولم يعلم من أي الطبقات كانت عائلته، لذا لم يسهل علينا الوصول إلى معرفة السر في تكييف خلقه وسجيته. والظاهر من لفظة (الخيامي) أن والده كان يحترف بصنع الخيام أو بيعها؟ وسواء أكانت عائلته تحترف بصنع الخيام أم بيع المجوهرات، وسواء أكان بيته وسطا أم بين أمراء فالخيام قائم بنفسه، فهو ابن عقله وقد أنبأ عنه علمه وحكمته وأدبه بأنه من النابغين(3).

وطنه:

كانت نيسابور - التي تلقى عمر الخيام علومه فيها - تعج بالأدباء والفلاسفة والفقهاء، وقد أفرزت العديد من الشعراء الكبار نذكر منهم:

- الفردوسي، صاحب الملحمة الفارسية الشهيرة الشاهنامة
- فريد الدين العطار، صاحب منطق الطير.

- جلال الدين الرومي، وغيرهم.. ممن تفتخر وتعتز بهم إيران.

والغريب أن الشعراء قد أكثروا من ذم نيسابور كالمادي الذي يقول:

لا تـــــــزلن بنيســـــــابور مغتربـــــــا

الا وحبلـــــــك موصـــــــول بســـــــلطان

أولا فـــــــــــلا أدب ولا حســـــــــــب

يغـــــني ولا حرمـــــة ترعـــــى لإنســـــان

ومن شكا ليله فيها معن بن زائدة الشيباني:

تمطـــــى بنيســـــابور ايلـــــي وربمـــــا

يـــــرى بجنـــــوب الـــــري وهـــــو قصـــــير

ليـــــالي إذا كـــــل الأحبـــــة حاضـــــر

ومـــــا كحضـــــور مـــــن تحـــــب ســـــرور

فأصـــــبحت أمـــــا مـــــن أحـــــب فنـــــازح

وأمـــــا الالى أقلـــــيهم فحضـــــور

كان أستاذ الخيام في نيسابور الإمام "الموفق النيسابوري"، الذي اشتهر عنه أنه كل من درس عليه القرآن والحديث، موفق يوما إلى تسنم ذرى المجد. ومن المفيد هنا أن نذكر الحكاية التالية التي توضح شخصية الخيام:

تقول الحكاية التي وردت في وصية تنسب إلى نظام الملك أن حسن الصباح قال لزميليه "عمر الخيام ونظام الملك" أنهم كلهم تلاميذ الموفق النيسابوري، فإن لم يرتفعوا كلهم إلى المناصب العالية، فلا بد أن واحداً

منهم سيبلغ ذلك، واقترح عليهم أن يتعاهدوا على أن من يصيب ذلك منهم يشارك أخويه ولا يقصر على منفعة نفسه فتعاهدوا - وذكر رشيد الدين بن فضل الله في كتابه جامع التاريخ - أن كل واحد منهم شرب من دم الآخر توثيقا للعهد. فلما صار نظام الملك وزيرا للسلطان ألب أرسلان، زاره الخيام فرحب به وأكرمه.. وجعل له ولاية نيسابور ونواحيها، فأجابه الخيام بأنه راغب عن حكم الناس أمراً ونهياً.

وتجاه إصرار الخيام على موقفه أجرى عليه الوزير "1200" دينار في كل عام.. الا أن الخيام عاد إلى موطنه وانكب على البحث والدرس حتى بلغ من الحلم ما بلغ.

كذلك قدم حسن الصباح من الري على نظام الملك واستنجزه الوعد، فخيره بين ولايتي أصفهان والري، فلم يقنع بذلك، لأنه كان يطمع أن يشاركه في الوزارة. فعهد إليه بمنصب "وزاري" في حضرة السلطان. ثم شعر نظام الملك بمطامح حسن الصباح ودسائسه فجعل يحترس منه، ثم استوحش السلطان منه ورفع الحساب من عهدته، ويقال أن ذلك كان بمكيدة دبرها له نظام الملك اقصاءً له وتخلصاً من شره.

وقد أجمع العديد من الباحثين على الشك في صحة الحكاية بسبب تفاوت أعمار الأصدقاء الثلاثة؟

غير أن الأستاذ عبد الحق فاضل لا يميل للشك في صحة الرواية، لأن زمالة الدراسة في ذلك الزمن لم تكن تعني تقارب السن كما هي الحال اليوم. فقد كان الدرس يحضره الغلام والكهل والشيخ. وربما استكمل بعضهم دراسة الفقه بعد تعلم النحو، أو قبل التبحر في التفسير والقراءات وهكذا...

وأياً كانت الحال فان لم تكن هذه الحكاية صحيحة من حيث صدق الرواية، فهي صحيحة من حيث صدق الأدلة، فإن الراوية صاحبة الخيال ـ الذي لفقها ان كانت ملفقة ـ قد تمكن من تصوير نفسيات الثلاثة الكبار، وأحسن تجسيد خصالهم طبقا لما يعرفه عنهم واقع التاريخ.

والذي يهمنا هنا هو عمر الخيام، فإن عزوفه عن الولاية برفضها وعن المال برجوعه إلى وطنه، يؤيد لنا صدق ادعاءاته من حث على الانزواء والترفع عن الحطام، وذم للمتهالكين على الدنيا والمتاجرين بالدين والعلم.. ومن أخلاق العلماء التي اتصف بها الخيام أنه كان حر الفكر، كثير المناقشة لما يعرض له من آراء مسلم بها، ومثله أبدا عرضا للاتهامات والمزعجات(4).

عصر الخيام:

نشأ الخيام في عهد الدولة السلجوقية الكبرى، التي بسطت سلطانها على خراسان وكرمان والري والجبال وأذربيجان وبلاد الروم والعراق وفارس، أسس هذه الدولة أبو طالب طغرل بك، وانقرضت على يد شاهات خوارزم سنة "590هـ" بأمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله وقد حكمها تسعة سلاطين هم (5):

- طغريل بك.
- ألب أرسلان.
- ملكشاه.
- بركياروق.
- أبو شجاع.
- أبو الحارث سنجر.
- محمد الثاني بن محمود بن محمد الأول.

- أرسلان بن طغريل الثاني بن محمد الأول.
- طغريل الثالث الذي قتله حوارز مشاه متكش

عاش الخيام في كنف الدولة السلجوقية، وعاصر السلطان ألب رسلان، وذاعت شهرته في عهد ملكشاه، ومات في عهد السلطان سنجر الذي أصيب بالجدري وعالجه الخيام وقد كانت الخلافة العباسية في هذا العصر تعاني من متاعب داخلية.. وخارجية.. وكانت سلطة الخلفاء غائبة عن الحكم والحياة العامة.. واكتفى الخلفاء بالحد الأدنى من مظاهر السلطة التي انحصرت بذكر أسمائهم على المنابر والدعاء لهم بالنصر والتوفيق! بالإضافة إلى كتابة أسمائهم على النقود المعدنية. ثم اضطرت الخلافة العباسية أن تنزل نزولا تاما عن سلطتها السياسية، لأسرة بني "بويه" في النصف الأول من القرن الرابع الهجري "334هـ 946م".

وفي بداية عصر الخيام ضعفت أسرة آل "بويه"، وظهرت دولة "السلاجقة" التي طوحت بملوك الطوائف والدويلات الصغيرة في فترة وجيزة، ومدوا حكمهم على إيران كلها، بل وتجاوزها إلى دول إسلامية أخرى، وألفوا من هذه البلاد الإسلامية المتعددة المتناثرة دولة موحدة واسعة مركزها إيران.

ولقد كان للسلاجقة عامة، وللمشكاه خاصة، أثر كبير في تشجيع العلوم والآداب وترقيها، وهذا واضح مما خلفه ذلك العهد من مصنفات وآثار علمية وأدبية جمة. وعلى الرأس من مفاخر السلاجقة يمكن أن نعد نظام الملك من الوزراء وعمر الخيام من العلماء.

من الحوادث الهامة التي شهدها الخيام الحروب الصليبية، التي استمرت قريبا من مئتي سنة بين شدة وضعف وتخللها حوادث مثيرة سجل معظمها ابن الأثير في كتابه "الكامل". والجدير بالذكر أن السلطان ألب أرسلان تمكن

في بداية الغزو الصليبي للمنطقة العربية من الوقوف في وجه الغزو.. فلقد حطم السلطان ألب أرسلان المؤسسة العسكرية البيزنطية على أرض معركة "ملاذ كرد" قرب بحيرة "وان" في تركيا حاليا. ففي هذه المعركة الحاسمة التي نشبت سنة "463هـ - 1071م" هزم المسلمون جيوش الامبراطورية العتيدة، وأسروا الامبراطور "رومانس ديجانس"، فكان أول امبراطور يقع في أسرهم.. لقد دقت أصداء النصر المبين في "ملاذ كرد" بوابات أوروبة بعنف، وأحدثت في أرجاء القارة ذعرا يماثل الذعر الذي أحدثه الفاتحون العرب الأوائل، وهكذا وصلت إلى أوروبة الغربية وفود أرسلتهم القسطنطينية تطلب العون، وتنشد النجدات من أجل الوحدة بين الأرثودوكسية والكاثولوكية.. ومما يؤسف له أن السلطان أرسلان لم يستثمر نتائج المعركة بشكل مباشر، ولم يعش السلطان طويلا بعد نصر "ملاذ كرد"، كما أن امبراطورية السلاجقة لم تعمر طويلا غير بضع سنوات، لتنهار وتحل محلها قوى صغيرة متصارعة من أجل السلطة، وكان معنى هذا انتكاسة كبيرة لقوى العرب والمسلمين في المشرق، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار النفقات الهائلة التي تحملها أهل المشرق حتى قامت سلطة السلاجقة، وعدم تمكنهم في تلك الفترة الوجيزة التي عاشتها من استرداد عافيتهم، ثم اضطرارهم بعد ذلك إلى تحمل المزيد من الأعباء وقد مكن انهيار سلطنة السلاجقة الامبراطورية البيزنطية من استرداد عافيتها وتمالك جأشها ثانية للمشاركة في عمل هجومي جديد ضد بلاد الشام والجزيرة (6).

خصائص عصر الخيام:

يمتاز عصر الخيام بعدة خصائص تميزه من العصور التاريخية الأخرى في إيران:

أولاً - وفرة العلماء والأدباء في كل مدينة، وكثرة التأليف والتصنيف، ذلك لأن المدارس الإسلامية راجت كثيراً في هذا العهد، وانصب الموهوبون والمتضلعون على التأليف والكتابة وشاعت دراسة الآداب والعلوم الدينية والحكمة الإلهية، حتى بلغت هذه المعارف من الرقي شأنا قلما بلغت مثله في أي عهد آخر.

ثانياً – شيوع الدعاوات وحلقات الجدل المذهبية، وانتشار الأفكار واشتداد الأحاسيس العصبية الدينية بصورة عنيفة.

ثالثاً – انتشار الفرق الإسلامية الباطنية .. ونجاح حسن الصباح في تأسيس عاصمة لفرقته في قلعة آلموت، التي مدّ منها نفوذه على العديد من الدول الإسلامية وبخاصة في إيران.

رابعاً – انتشار الإسلام والتعاليم الدينية الإسلامية، وبروز أهل السنة الذين أسسوا مدارس نظامية ـ نسبة إلى نظام الملك ـ في المدن الكبرى بهدف ترويج العلوم الدينية، وللوقوف في وجه الفرق الإسلامية الأخرى.

خامساً – شيوع اللهو والمجون والشذوذ في هذا العصر.. غير أن الخيام لم يكن يشارك في مثل هذه الحياة اللاهية.. فقد كان الخيام متزوجا ـ كما تذكر إحدى الروايات ـ وكان له أولاد لم يذكر منهم التاريخ إلا بنتا تزوجها الإمام "محمد البغدادي". ولعل الحكاية التالية توضح هذا الجانب:

كان للسلطان سنجر مملوك يقال له قايماز قد استخدمه واستخلصه، واشتهر بحبه واستخلصه وقد أصبح به صبا وشغفه حبا. وتسحب على السلطان بدلاله وادلاله. وما صار يبالي لعلمه باشتغال باله به. وكان هذا المملوك يعرف بكج كلاه، أي مائل القلنسوة، وكان الوزير أبدا ينهاه، ويرده إلى نهاه. وقال له يوما: "عن عقلت والا دبرت في تسويتك وقومت ميل قلنسيتك". فقال له غير مكترث بوعيده، وقابل تهديده بتهديده: "اما أن تسوي

قلنسوتي واما أن أسوي عمامتك". فاتفق أن السلطان كان في ضيافة الوزير. واصطبح واغتبق عنده ثلاث ليال. فلما كان في اليوم الثالث والسلطان في سورة راحة وسكر اصطحابه، وقد ذهب ذهنه وضعفت قوة تمييزه وعينه في عين المملوك ويده في يده وقد ملكه بغمزته وتغميزه. فغافله ونزع خاتمه وقام ومضى وهو حاقد والوزير في حجرته راقد وقال: "استأذنوا لي علبه فقد جئت من عند السلطان بمهمة إليه"؟ ولج حتى ولج، وكل من كان حاضرا بدخوله خرج. فلما ستخلى المجلس، وأصغى الوزير له واستأنس، حز رأسه وعلقه بيده، ودخل على السلطان ووضعه بين يديه!! فصحا سنجر، وهاله ما جزى من اجترائه واجتراحه وأخافه ما تم من اقتحامه، واستدهى الأمير قماجا، وهو أوضح أصحابه في الرأي منهاجا وقال له سرا:

"انظر إلى ما صنعه هذا المؤاجر بوزيري، وقد نغص عليّ سروري وسرير. فأخرجه من عندي على وجهه سحبا، وقطعه أربا أربا"! فقال له الأمير:

"هذا أمر فظيع، وصنع شنيع. وحفظ الناموس يوجب أن لا يعرف أحد من رعية بلدانك، أن مثل هذا الأمر يتم في سلطانك، بغير استئذانك. فأظهر أنه جرى باذنك، وصن جاهك واحذر من وهنك، واركب الآن إلى دارك، وارجع إلى قرارك".

فقبل "السلطان" النصيحة، وكتم الفضيحة. ثم أمر بعد مدة بقتل ذلك المملوك أسوأ قتلة ومثل به أقبح مثلة (7)

من قصص غراميات عمر الخيام

"قم.. فذاك نذير الصباح لاح..!"

"نوراً.. يخرج الصبح، ويسقي البهجة الراح!".

"قم!".. شعر لطيف، كان يتردد في قلب الشاب، ثم يتكسر عند شفتيه، وهو منطلق خلال بكرة الصبح مفعماً بالنشاط، يستقبل اليوم مبتهجاً، ويسعى إلى روضة حبيبته كالسهم خلال الضوء الداكن الذي اختلطت فيه طلائع النهار ببقايا قطع الليل.. تحت سماء (فارس) الصافية.

"قم!".. وراح الشاب يردد الشعر وهو منطلق، يرى الأشياء، في ابتهاجه، وكأنها تتراقص من حوله.. كما لو كانت سعادته وشعوره المفعم قد انعكسا على الدنيا فألبساها ثوباً بهيجاً فوق الذي كان لها! كل شيء من كان مبتهجاً من حوله: الحوانيت التي كانت تفتح أبوابها مع مطلع النهار، والمارة المسرعون إلى أعمالهم.. ثم جامعة "سينا" بقبابها المرتفعة، تلك الجامعة التي قامت في مدينة نيسابور، حيث ولد عمر الخيام، والتي أظهر شاعرنا فيها، على رفاقه، تفوقاً.. سواء في الشعر، أو في الجبر، أو في الفلك، حتى لقد طلب إليه أن يعمل بالتدريس في الجامعة، فاجتذبت محاضراته طلاّب العلم من كل البلدان القريبة أو البعيدة، وتهافت عليها الراغبون في المعرفة، وفي مقدمتهم أمراء البلاد.

لكن شيئاً من ذلك لم يغره على التشبث بمنصبه العلمي، فسرعان ما انصرف عن الجبر والرياضيات إلى النظر والتفكير في حكمة الكون وأسرار الوجود وباطن النفس البشرية، ثم إذا به يسبغ على كل ما يتوصل

إليه من أسباب التفلسف خيالا رفيعا وأسلوبا رقيقاً، فيجعل منه شعراً تتذوقه القلوب قبل أن تدركه العيون.

"قم!.. فذاك نذير الصباح لاح .. نوراً!".

وانطلق عمر الخيام في طريقه حتى وصل إلى روضة حبيبته.. وفي خفة الفهد تسلق عمر الجدار المرتفع ومال منه إلى شجرة هرمة عتيقة فهبط، متعلقاً بفروعها، إلى الأرض الخضراء ثم تسلل بين أشجار الحديقة الوارفة، وورودها المتفتحة، فإذا هو أمام بركة للسباحة تنافس زرقتها لون السماء الأزرق الصافي.. ولكن مياهها لم تكن على عهده بها من الهدوء.

وبهت عمر، إذْ وجد محبوبته الفاتنة تنساب سابحة بين ضفاف البركة، فيثير جسمها العاجي ماءها، فيتطاير رذاذاً كأنه حبات اللؤلؤ.. وفزعت الجارية ووجمت إذْ وجدت غريباً يتفرس مشدوها في حسن وسحر سيدتها الجسدي. فرفعت وشاحاً من الحرير تحجب به الجسد الغالي عن العينين النهمتين.

بيد أن ضحكة سيدتها انطلقت في الجو، ثم خرجت الحسناء من الماء دون ما اضطراب أو حياء ينم عن مفاجأة، فتسترت بالوشاح الحريري، الذي التصق بجسدها المبتل الندي، فزاد مفاتنه بروزاً، واقتربت من عمر تستقبله استقبال المتشوقة العاشقة.

انتحيا جانباً تحف به الورود، وراحا، في جلسة عاشقة، يتبادلان المناجاة همساً، وأن هي إلاّ أن رأت منه ضيقا بحياة المدينة، حتى قالت له: "لقد عمت شهرتك كل مكان، ولا ريب في أن الشاه يرحب كثيراً بأن تتردد إلى مجالسه".

فقال: "وماذا يفيدني التردد إلى مجالس الشاه؟.. هل يليق منظري هذا بمجلس أصحاب السلطان؟.. إنما أنا رجل علم وفلسفة، حتى أن أباك ليعرفني على أني أنشط تلاميذه في الجامعة.. ثم أني لأحمل في قلبي من العواطف والأفكار ما يغنيني عن معاشرة أصحاب الصلطان.. إنما مملكتي في القلب وهي مملكة زاخرة قلّ أن يحلم بمثلها حاكم مهما تبلغ رقعة دولته من الإتساع".

وإذْ هما في موقفهما ذاك، سمعا صوتا ينادي: "شيرين، شيرين"..

كان والد الفتاة يدعوها إليه، فاضطربت إذْ تصورت ما يكون من أمرها إذا رآها أبوها في مكانها هذا إلى جوار رجل غريب.. وفي أي ثياب؟ في وشاح حريري أظهر من الجسد أكثر مما يخفي؟!

اضطربت "شيرين"، وهبت من مجلسها فضمها عمر واقتطف منها قبلة، ثم تسلق السور في خفة، وإن هي إلاّ لحظة حتى كان في الطريق من جديد.. يضج الشعر في فؤاده ثم يخرج في تمتمات حانية من شفتيه.

وذهبت الفتاة إلى أبيها، فإذا هو عابس الوجه مكتئب الخاطر.

وبادرها قائلاً: "لقد دعاني الشاه إلى مجلسه، ولستُ أدري ماذا يريد مني؟ هلا تركني وشأني؟!. فقالت: "هذا موسم مجالس الشاه، ولا ريب في أنه يدعوك تكريما لك، إذْ خدمت جامعة بلاده بأمانة". وردّ الشيخ قائلاً: "ما أرى تكريماً في دعوتي إلى مجلس خاص، لا أدري ماذا يريد فيه".. ولكنه لم يملك سوى أن يلبي دعوة الشاه.

اتخذ عمر الخيام طريق العودة خلال السوق التي ازدحمت بالناس وامتلأت ضجيجاً، فما أن وصل إلى باب المدينة، حتى رأى حشداً من الناس،

وجواداً مطهما عليه فارس طويل أسمر، عليه سمات المهابة والنفوذ، يتبعه بعيران يحملان هودجين. ومن وراء الجواد والبعيرين، سار ثمانية من الفرسان مسلحين.. واقترب الموكب، فتأمل عمر الخيّام، راكب الجواد، ثم صاح: "حسن!.. أين أنتَ من زمن؟".

والتفت الفارس إليه، فإذا السرور يبدو على وجهه، وقفز عن جواده، فأقبل يعانق عمراً، وهو يردد: "لطالما تشوقت إليك يا عمر.. إنك لم تتغير منذ عشر سنوات، لا ولا رداؤك العتيق تغيرا".

كانوا ثلاثة زملاء في جامعة سينا.. عمر الخيام، والحسن الصباح، ونظام الملك.. ثلاثة زملاء ازدحمت رؤوسهم بالآمال، فتعاهدوا على أن يعمل من يبلغ منهم منزلة عالية يوماً على أن يساعد زميليه حتى يصلا إلى مرتبة مناسبة.. ثم تفرقوا، فظل "عمر الخيام" مقبلاً على الدرس، ميالاً إلى الشعر، زاهداً في الدنيا والسلطان، حتى كان ذلك اليوم، إذ التقى، بعد أن فارق حبيبته، بزميله القديم "الحسن الصباح" عند باب المدينة، وكأنه خرج يستقبله عن عمد لا عن مصادفة.

وتأبط الحسن ذراع عمر، وسارا يتحدثان ومن ورائهما الموكب..

قال عمر: "إن مظهرك ليؤكد ما سمعته من أنك نلت حظاً من الدنيا ونجاحاً، وأنك عشت في (سيرو)، وأنك اخترت لمراجعة أعمال حاكم جيلان". فأجاب الحسن: "أجل، وقد جئت اليوم لمقابلة الشاه وتقديم الهدايا إليه، فإن الهدايا تيسر على المرء شؤونه. لقد جئته بهديتين في هذين الهودجين ستقرّ بهما عيناه. على أن ثمة سببا آخر لمجيئي، هو أن نلتقي ثانية، أنا، وأنتّ، ونظام الملك، الذي يعمل الآن وزيرا للشاه. ولا بدّ أنك دائم الاتصال به!".

لا.. إني لا أراه قط، فالقصر مليء بالانتهازيين وملتمسي الجاه والثروات، وليس لي من شأن وسط أناس هذه صفاتهم.

بـل، قـل إن روح الشـعـر لم تـزل متمكـنـة منـك. تعـال معـي إلى القصـر، لنلتقي جميعاً من جديـد، ولنفـي بعهـدنا الـذي قطعنـاه علـى أنفسـنا منـذ سـنين عشر.

وسـار "الحسـن" إلى جواده، ففتح صندوقاً معلقـا إلى جانبـه، وأخـرج قـلادة من الذهب مرصعة بالجواهر، وقـال: "إليـك هـذه، فهـي تصلح لأن توضـع علـى جيد حسناء، كما تصلح لتزدان بها ذراع الرجل"...

وأحاط بالقلادة ذراع عمر، فهتف عمر الخيـام: "لسـتُ راغبـاً في زينـة، ولا في الشاه، ولا في خدمات نظام الملك.. إنني راض بحالي!".

ألم أقل لك أنك ما زلت شاعراً فحسب! تعال معي ولو لنجتمع من جديد.

وفيمـا كـان الصـديقان يسـيران، جمـد بصـر "الحسـن" عنـد بقعـة معينـة.. كان ثمة رؤوس ستة دامية، معلقة إلى نصب، وإلى جوارها عمامتان حمراوان مثبتان. بخنجرين محمرين بصورة مريبة..

فتسـاءل الحسـن: "ما هذا؟". وقال عمر: "إنهم لصوص!" فـردّ عليـه الحسـن: "لا بل أقصد العمامتين". فقال عمر: "إنهما لاثنين من الفداوين، أعدما بالأمس فقط!". فتعجب الحسن: "ألفداوية[1]".

- لا بد أنك سمعت عنهم، فليس ثمـة إنسـان يـأمن خنـاجرهم، إنهـم مـن أشد المغتصبين و...

فقـال الحسـن مـتعجلاً: "تعـال، ودعنـا نبتعـد عـن هـذا المشـهد الرهيـب، سنذهب إلى القصر".

---

[1] - أطلـق أحـد المـؤرخين الأوروبـيين الـذين عاصـروا إحـدى حقبـات الحـروب الصـليبية، اسـم (الحشّاشين) على الفداوية، الذين أذاقوا الغزاة كؤوس الموت، وألحقوا بهم الهزائم، فجاءت هذه التسمية الغريبة التي ابتلعها العرب، كإنتقام رخيص من هؤلاؤ الثوّار الذين دافعوا عن وطنهم ببسالة وشرف (هاني)

وعبثا حاول عمر أن يتهرب أو يراوغ، فقد قال الحسن متبرما: "أرجوك... دعنا نذهب لرؤية نظام الملك. إنه الآن صاحب الأمر في المملكة، ويا لها من مسؤولية!". وكررها مهتما.. "يا للمسؤولية!" ثم أردف: "ترى هل نقل الشاه حاضرة ملكة إلى نيسابور خوفاً من طمع ابن عمه الذي يعد جيشاً لانتزاع الملك منه، أو خوفاً من البيزنطيين المحتشدين على الحدود؟.. إن الأخطار لتحيق به وهو يقف وحيداً وسط حاشية من الانتهازيين، ألا يحتاج هذا الرجل إلى معونة المخلصين لبلادهم أمثالنا.. إنها مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق نظام الملك وحده".

وفي قصر الشاه، التقى الأصدقاء الثلاثة.. فانتزع نظام الملك صديقيه من ضجة الحاشية إلى ركن قصي من القصر، ليجتروا ذكريات أيامهم الأولى في هدوء.. فلما أنهكت عقولهم الذكريات، شكا نظام الملك من امتلاء القصر بالخونة، وكيف أن الملك يقف وحيداً إلاّ منه هو نفسه.. "إني حقاً في حاجة إلى الأصدقاء المخلصين، ولقد جئتماني يا صديقي الوفيين. وما عليك يا صديقي عمر إلاّ أن تذكر المنصب الذي يروق لك في ذلك القصر فتعين فيه".. فقال عمر: "كلا.. ما جئتك إلاّ للزيارة فقط، ولست أريد العمل في القصر اللهم إلاّ إذا احتجت إليّ يوما". فهتف نظام الملك: "وهذا هو وقت الحاجة إليك، فهيا.. إلى مجلس الشاه قبل أن ينفرط عقده".

وكانت القاعة فسيحة، حافلة بالناس من جميع الألوان والأقطار.. طلاّب حاجات، وحكّام، وتجار، ومتقربين، وأصحاب هدايا.. وشق نظام الملك طريقه مع رفيقيه إلى مجلس الشاه، لكنه توقف قليلاً إذْ رأى الأمير "أحمد"، الابن الأكبر للشاه ماثلاً أمام أبيه، يقدم هدية: سيفاً مزيناً بالجواهر.. فقال نظام الملك: "يا لخبث الأمير، إنه دائماً ما ينافس أخاه الأصغر الأمير مالك في

التقرب إلى أبيه.. إنها عدوى انتقلت إليه من أمه، التي تحقد على الأمير مالك لأن أمه كانت هي الأثيرة لدى الشاه رغم أنها الزوجة الرابعة".

ولمح عمر الخيام الأمير مالك، فتعرف إليه، إذْ كان الأمير الشاب طالباً يتلقى العلم عنه!

وإذْ فرغ الأمير أحمد من إهداء السيف، تقدم "نظام الملك"، فقدّم إليه "الحسن الصباح"، ثم "عمر الخيام" وأوشك الملك أن يظهر استياءه إذ قدّم وزيره إليه شاعراً آخر وقد كانت حاشيته تضم من الشعراء فريقا أضجره. أمسك بزمام نفسه وطلب إلى عمر أن ينشده شيئاً من شعره، فقال عمر:

"رأيت باباً.. حرت في طلب مفتاحه، وما فتحته..

"وشاهدت وشاحاً أنعمت البصر فيه، فما شفت عمليته!

"وكلام يسير.. جرى بيني وبينك.

"كان.. كل شيء كان.. وانمحى، فما عاد من شيء!

"ترى.. هل ترى ذلك الأمل الدنيوي..

"الذي يهفو إليه الناس بكل قلوبهم؟

"يبرق الأمل قليلاً، ثم يغرب.. وما يبقى منه شيء!".

ترى ماذا يقصد ذلك الشاعر؟ أينذر الشاه بزوال دنياه؟!

وثار الحاضرون، ورفع حامل السيف سيفه منتظراً الأمر ليطيح برأس عمر.. وهمس الأمير أحمد بحقده إلى أبيه. لكن صوتا شفوقاً شذ عن نغمة الحانقين، وكان ذلك صوت الأمير مالك، وقد راح يقول:

"اغفر له يا أبي، فهو لا يقصد شراً.. إنما هو يعبر عن فلسفته في الحياة". وعاد صوت الأمير الحاقد: "بل اجزه الذي يستحقه لسانه الزلق".

وتعالى الصخب في المكان، فرفع الشاه يده يأمر الحاضرين بالسكوت، ثم قال: "إليكم إجابتي.. لتسمع جوابي أيها الأمير أحمد، فستعرفون جميعا كيف أجازي قائل الحقيقة.. أليست الحقيقة في بلاط الملوك أندر من الجواهر؟.. لقد علّمني أبي أشياء ثلاثة، وإني لأقولها لأبنائي: كن فارساً ماهراً، ورام بالسهم في تجاه مستقيم، وقل الحق". ثم نظر إلى عمر الخيام قائلاً: "إنك الوحيد الذي جرؤ على أن يذكّرنا بأشياء كان يجب أن نتذكرها، وإني لأحكم على الإنسان بنقاء قلبه، لا بهدايا يده".

وتساءل الشاه عمن يؤيد "عمر الخيام"، فأوشك الأمير مالك أن يعلن تأييده، لولا أن وصل الإمام الموفق" عميد جامعة نيسابور، ووالد شيرين، فصاح قائلاً: "أي سيدي، إنما الماثلون أمامك ثلاثة أصدقاء، كانوا تلاميذ لي في الجامعة، وكل منهم نابغ في اتجاهه.. نظام الملك، والحسن الصباح، وعمر الخيام.. وهذا الأخير يمتاز إلى جوار موهبته الشعرية، بأنه أول من يحذق الجبر والفلك من علماء مملكتك.. إنه يعرف النجوم ومساراتها وتقلباتها".

ودهش الشاه لهذا العلم فسأل عمر: "إذن فأنت تعرف حركات النجوم وتصرفاتها في حياة الناس، فتستطيع التنبؤ بالمستقبل؟".. فردّ عمر: "لا إنما ذلك عند أهل الخرافات. فليس للنجوم شأن بمصائر الناس، وإنما هي تهدي السالك في الصحراء ليلاً، وتحدد الأيام والأشهر والأعوام، وإننا لنضع التقويمات مسترشدين بها.. وإني لأؤكد لك أن في تقويمنا خطأ في الحساب، فنحن نحتفل بعيد ميلادك بعد فواته بنصف أسبوع، ونصوم بعد أن ينتهي شهر الصيام، ونعيش الأمس باعتباره الغد!".

فقال الملك: "حسن سأعهد إليك منذ الآن بأن تعكف على تصويب تقويمنا. ولكن.. ما دام الإمام الموفق ووزيري نظام الملك قد أيداك، فإنني أحبّ أن أسألك عن أحكم ما لديك من معرفة!".

وأخلد عمر إلى التفكير برهة، ثم قال: "مولاي، إن الموت قريب من الإنسان أبداً، ولهذا فإن كلا منّا يخشى أن يستنفذ حياته.. على أن أحكم شيء في الدنيا، هو أن يعيش الإنسان حياته كاملة، فيملأ كل دقيقة فيها".

وما كاد الشاه يسمع هذا القول حتى استولت عليه الدهشة والإعجاب، وطلب إلى عمر أن يختار أية وزارة ليوليه عليها. ولكن عمر رفض ذلك العرض المغري، لأنه كان عازفاً عن أي مظهر من مظاهر السلطان. فاقترح نظام الملك أن تخصص له غرفة في برج القصر، يرصد منها النجوم، ليصلح التقويم. فأمر الشاه أن يعدّ له كل ما يطلب، وأن يطلق عليه لقب.. "مستشار البلاط".

وأوشك الشاه أن يحلّ المجلس مرجئاً "الحسن الصباح" إلى جلسة أخرى، ولكن هذا كان جريئاً، لا هياباً ولا متردداً. فتقدم من الشاه وأعلمه بالهدايا بصوت جهوري.. قدّم إليه راقصة مصرية فاتنة، يدق جسدها ويستفيض في تناسق، وتجذب بشرتها الخمرية الشفافة الأبصار، فاعتدل الشاه في عرشه، وانتبه وذهب عنه السأم.. ثم قدّم إليه جارية أخرى من الشرق الأقصى، فاتنة لم يكن للأبصار أن تقع على مثلها حسناً.. فمال قلب الشاه إعجابا، وشاع في نفسه عن ذلك الرجل الذي تقدّم منه دون ما إذن، محطماً التقاليد.. فإذا بالحسن الصباح قد أعد مفاجأة كبرى، إذْ أمر بالصندوقين البرونزيين وقال إذْ حملا إليه:

- وليست هاتان الهديتان بشيء يذكر، فقد ادخرت لجلالتكم هدية أخرى تليق بمقامكم السامي. إن لكم عدوين يهددان أم الإمبراطورية: ابن

عمكن سليمان الذي يوشك أن يغير على العرش.. والخائن بنداري! أي مولاي الكريم، لكم يبهجني أن أقدّم لجلالتكم رأسي العدوين!

وفتح الرجل الصندوقين، فإذا كل منهما يحتوي على رأس أحد العدوين، ولم يتمالك الشاه أن صاح إعجابا: "ذلك رجل شجاه، هزم عنا - بضربة واحدة - نصف أعداء المملكة، فلم يبق أمامنا إلاّ البيزنطيين، وعصبة (الفداوية) بخناجرهم الخفية التي لا تبقي على أحد".

ولم ينفض المجلس حتى كان "الحسن الصباح" حاملاً لأختام الشاه.. ثم أمر الشاه فانفض، وأشار إلى الشيخ الملتحي الإمام موفق، والد شيرين، فانصرف وإياه إلى اجتماع خاص.

واجتمعوا حول المائدة: عمر الخيّام، والحسن الصباح، ونظام الملك، والأمير مالك، و"توتوش".. أخ الملك. فمال عمر الخيام إلى إبريق الخمر، فكان يوزع منها عليهم، وهم مبتهجون، لا يعكر صفوهم سوى سحابة من ضيق كانت لا تلبث أن تمر بوجه "توتوش" إذْ كان (الفداوية) قد هددوه بالقتل.. وتعجب الأمير مالك: "عجيب أمر أولئك الفداوية.. أن الواحد منهم ليطعن ضحيته في قلبه، ثم يقف إلى جواره حتى يأتي أصدقاء الضحية فيقتلوه!".

لكن البهجة لم تلبث أن غادرت مجلسهم إلى غير رجعة. إذْ جاء الأمير أحمد بوجهه اللئيم، فجلس بينهم دون ما تحية، وأراد أن يحوّل سرور أخيه إلى غم، فقال: "لقد قرر الشاه أن يتزوج أخرى بدلاً من زوجته الرابعة التي ماتت". فاكفهر وجه الأمير مالك، إذْ كان يؤمن بأنه ليس في وسع امرأة أخرى أن تملأ الفراغ الذي خلفته أمه. وسألوا الأمير أحمد عن تلك التي وقع عليها الاختيار، فقال: "ألم تروا إليه كيف اجتمع على إنفراد بالإمام الموفق؟ لقد قرر أن يتزوج من ابنته شيرين فإنها أجمل بنات نيسابور.

وصعق عمر الخيام، وكأنما أصابه مس من الجنون، فقام منتفضاً ثائراً يقول: "لا، إنها حبيبتي، إنها حياتي.. لن يستطيع أحد أن ينتزعها مني.. لا، لن يكون هذا!". وانفلت كالعملاق المارد، أو كالسهم الذي انفلت من عقاله، فامتطى جواداً ليس له وانطلق إلى روضة الحبيبة!.

وما أن وصل إلى الروضة حتى اعتلى السور، وهبط إلى الحديثة ينادي، وما من مجيب.. وإن هي إلاّ برهة حتى جاء خلفه الحسن الصباح ونظام الملك، فحاولا منعه عما اعتزم من اختطاف شيرين، وهدداه بما ينتظره على يد الشاه إن هو مسها..

وما كان لينثني لولا أن سمع صوت حوافر جياد الحرس وقد جاءت لحماية القصر.. فخرج مع صديقيه وقد سرى في وجدانه شعور مبهم غامض.. يأس، وبؤس، وضيق، واكتئاب، وإذْ ابتعد قليلاً ثار في فؤاده الشوق، وهزه الحنين، فالتفت.. التفت يلقي نظره أخيره لعلّها أن تكون زاداً بقيه العمر. فهنا.. هنا بيت الذكرى ومحط الأمل واليأس.

وهبطت شيرين إلى القصر محزونة مكتئبة الفؤاد، يسيل دمعها على وجنتيها وكأنه جمر متساقط، أخذ يخضل الأوشحة الثلاثة التي غطت وجهها، ثم دخلت إلى القاعة الكبرى فهالها ما وجدت فيها من تألق وتزاحم.. الأمراء والسفراء، ورجال الحاشية وزوجاتهم جميعاً.. كلهم كانوا حاضرين!.

وتلفتت هنا وهناك، خلال الحجب الكثيفة المسدلة على وجهها، لعلّها ترى بين المدعوين وجهاً واحداً معيناً كان هو الحبيب إليها.. وكانت تؤمل لو أنها انتزعت من كل هذه المظاهر والأبهة، لتحيا إلى جانبه في وادٍ بعيد مقفر.. كان البؤس بعينه أحب إلى نفسها من ذلك النعيم الظاهر.. لكن بصرها ارتد إليها يائساً فلم يكن للوجه الذي أملت أن تراه من أثر بين الحضور.

وتقدمت خلال القاعة إلى حيث يجلس الشاه، وعيناها زائفتان، والأمل يخفت في صدرها مع كل خطوة. ثم وقفت تجاه الشاه، والمأذون إلى أحد جانبيها، ووصيفتها إلى الجانب الآخر.. سألها المأذون: "هل تقبلين الشاه، سيد الشرق والغرب زوجا لك؟".

فأشارت إليها الوصيفة ألاّ تجيب.. وسرت همهمة في جو القاعة، بينما رفعت الوصيفة الحجاب الأول عن وجهها..

وتقدمت شيرين خطوتين وزاغ بصرها من جديد. وإذا بقلبها ينبض فجأة، وإذا بكل جوارحها تهتز انفعالا.. فلقد رأته أخيراً.. رأت الحبيب واقفاً بين المستشارين.. ولولا أنها تمالكت نفسها لصرخت طالة إليه أن يختطفها ويهرب بها..

وعاد المأذون يردد على سمعها سؤاله: "هل تقبلين مولانا الشاه سيد الشرق والغرب زوجا لك؟" وصمتت هذه المرة أيضاً.. ورفعت الوصيفة الحجاب الثاني، وتقدمت خطوة أخرى، ولم تعد ترى شيئاً سوى وجه حبيبها.. وكرر المأذون سؤاله للمرة الثالثة فقالت: "قبلت!"..

ودقت الطبول فرحاً، وانطلقت الأبواق تعلنها على الملأ زوجة للشاه.. وتقدّم منها نظام الملك فألبسها التاج.

وغامت المشاهد أمام عيني عمر الخيام، ولم يطق صبراً.. أوشك أن ينهار، وخشى أن يفتضح أمره أمام الملأ، فحاول الخروج، وأراد نظام الملك أن يحمله على البقاء، حتى لا يغضب الشاه لكنه لم يستطع البقاء، وانصرف مندفعاً، والتفت الناس يرون ما يحدث.. ودهش الشاه، فأنقذ نظام الملك الموقف بأن همس إلى شيرين أن تتقدم فتضع يدها في يد الشاه المنتظر!

وتقدمت دون أن تدري من أمر نفسها شيئاً ، إذ كانت غائبة عن الناس وعن الملك بل حتى عن نفسها.. ووضعت يدها في يد الشاه، وكأنها تدخل إلى القبر بقدميها.

وانطلق عمر الخيام إلى مرصده، يحاول أن يخفي حزنه خلال ظلمة الليل.. وكأنما دفعته قسوة البشر إلى أن يلجأ إلى السماء، فعكف في برجه المرصدي على الدراسة والتأمل والرصد ، وكأنه في حمى.. وراح يدوّن ملاحظاته لذكية فسوّد صفحات وصفحات، كان لها أكبر الأثر فيما أزمع من أمر التقويم الجديد. وأغرق أحزانه في الخمر، والشعر، والفلك، لكن الأحزان لم تنضب قط.. ولا كان هو يفيق منها.. ولا من الخمر!

اعتكف عمر في برجه الفلكي عن الدنيا ، لكأنما أراد قطع علاقته بالبشر جميعاً ، ولكن نظام الملك أراد إخراجه من عزلته، فنزل إلى سوق الرقيق، فانتقى جارية فاتنة العيون جذابة فاشتراها وأهداها إلى زميله الحزين.. ثم لم يزل به حتى أقنعه بالخروج من عزلته إلى الدنيا.. لكن عمراً كان في شغل بالذكريات عن الدنيا وما فيها.

وفي الموعد الذي كان الفداوية قد حددوه لاغتيال الأمير توتوش، أخ الملك، جاءه نظام الملك يطلب إليه أن يعيره ساعة مائية ليتعرف بها الوقت، فقد حددوا للقتل انتصاف الليل.. وساد القصر كله وجود متوتر، وأمر بالأبواب فأغلقت، والممرات فشددت عليها الحراسة.. وجلس توتوش في غرفته، وإلى جواره حارساه الأمينان وقد شهرا سيفهما ، ومن حوله كل رجال البلاط، وعمر الخيّام، والحسن الصباح الذي نال بسيفه رأسي أشد أعداء المملكة ضراوة!

وحلّت الساعة الثانية عشرة، فتغير لون توتوش، واضطرب الحاضرون وتحسسوا أسلحتهم، وعلّقت أبصارهم بالأبواب لعلّم يرون من عساه يكون ذلك الجريء الذي يقتحم عليهم مجلسهم هذا؟!

لكن أحداً لم يأت من الخارج.. وإن هي إلاّ لحظة، حتى سمعوا صيحة ضارية عالية.. ونزع أحد الحارسين غطاء رأسه، فإذا به يلبس عمامة الفداوية الحمراء تحته.. وأخرج خنجره ذا المقبض الأحمر بلون الدم و غرزه في قلب توتوش.. وبقي القوم في ذهولهم برهة، لا يدري أحدهم ماذا يفعل، وكأن شللاً أصابهم بغته. ثم أفاق الحسن الصباح، فقتل الحارس لفوره، وساعد في حمل توتوش.. لكن أنواع وألوان العلاج لم تكن مجدية.. فقد كان الجرح غائراً مميتاً.

ويبدو أن المصائب لا تأتي فرادى، فلم يلبث النذير أن جاء ليعلن أن البيزنطيين قد عبروا الحدود إلى المملكة، في جند كثيرين يبلغون أربعة أضعاف جند الشاه.. واجتمع مجلس الشورى، ولكن الحيلة أعيتهم فلم يكن أمام احدهم ما يقول..

ولجأ الشاه إلى عمر الخيّام، فقال: "مولاي لقد أجمعتم على أننا في حاجة إلى الجند، وما لم يأتنا الجند فليس لنا إلى النصر من سبيل. لكن ثمة أسلحة أخرى قد تتغلب على كثرة الجند.. كأن نرسم الخطط بحيث نباغت الأعداء على غير ارتقاب، وما عليك إلاّ أن تطلع عليهم ليلاً من حيث لا يتوقعون، فتغير عليهم إغارة خاطفة في ضوء القمر، ثم ترتد عند مطلع الصبح فتعتكف بعيداً.. حتى إذا مرت ليلة أو اثنتان، أعدت المحاولة على حين غفلة منهم، فتنال منهم منالك وتدحرهم. ولتذكر أن جيشهم مكون من الجنود

المرتزقة، فإذا قُتل قائدهم فلن يلبث أن يتفرقوا سراعاً، لأنهم لن يجدوا من يدفع إليهم رواتبهم".

وأُعجب الشاه بمشورة عمر الخيّام، فما لبث أن قام ليتأهب للقتال.. وكان لا بدّ لأحد ابنيه أن يرافقه إلى الميدان، ولكن الولدين تنزعا الشرف، فما كان من الأمير "أحمد" إلاّ أن دعا أخاه الأمير "مالك" إلى النزال، آملاً أن يتفوق عليه، فيكون أجدر منه بصحبة الشاه. واشتبك الأخوان في صراع جبار، ولا سيما وقد تبينا أن نتيجته ستمتد إلى وراثة التاج.. فما كان للمغلوب أن يجرؤ على المطالبة بالتاج بعد هزيمته، بل كان عليه أن يخلي مكانه للأقوى.

وأراد الأمير "أحمد" أن يقتل أخاه الأمير "مالك"، فإذا بهذا يرفعه إلى أعلى، ثم يهوي به فترتطم رأسه بالأرض، فلا يستطيع بعدها قياماً!

وانصرف القوم بعد أن هللوا بإعجاب للأمير المنتصر، وبقيت الملكة الحقود "زارادا" إلى جوار ابنها حزينة كاسفة الباب وقد تملك الحقد قلبها فأعمى بصيرتها. وجاءها الحسن الصباح فقال: "أيتها الملكة، هل تخشين ضياع الملك منك؟.. أنتِ ملكة الخرز، وصاحبة الحق في هذا الملك. وها قد زالت آخر عقبة كانت تقف في سبيلك إليه.. لقد مات توتوش وهو الوحيد الذي كان في الطريق. فلا تحزني، ولكن تدبري ما أقول لكِ، فلن يلبث أتباعي أن يجعلوا منك ملكة!".

وهكذا كشف الحسن الصباح النقاب عن شخصيته الغامضة.. كشف أنه زعيم (الفداوية)، ولكن للملكة الناقمة وحدها.

أحبت الجارية "يافا" سيدها عمر الخيّام، فكانت تكتئب كلما رأته مكتئباً، وكانت تتفانى في سبيل التسرية عنه أو إدخال السرور إلى قلبه. وفي أحد الأيام، جاءته بنبأ ظننت أنه يبهجه. فقالت: "أحقاً تريد أن تعرف شيئاً عن

(الفداوية) الذين انتشرت وقائع اغتيالاتهم في البلاد بعد رحيل الجيش عنها؟.." وأخرج السؤال عمر الخيّام من تأملاته وذهوله، فسألها بدوره عما تعرف؟! وكان جوابها: "إنني أعرف جارية تحب رجلاً، يعيش في كهف بعيداً عن الناس، كان يوما من الفداوية، ثم انفصل عنهم، والتجأ إلى الكهف خشية أن يقتلوه.. ولو شئت فإني أستطيع إقناعها باصطحابنا إليه!".

وأشرق وجه عمر الخيام، فقد كان يصبو إلى أن يعرف من أين يأتي هؤلاء الدمويون القساة الذين امتازوا بقصر اغتيالاتهم على رجال السياسة والحكم وحدهم. فلما كانت الليلة التالية، خرج عمر الخيام، في صحبة جاريته، إلى حيث التقيا بصديقتها ليلى، فاقتادتهما هذه خلال دروب ضيقة موحشة في الجبال، حتى بلغوا مغارة مظلمة، وجدوا بها رجلا نحل جسمه.. وجف عوده.. وحال لونه.. وبرزت عظامه، فسأله عمر الخيام عن عمره، فقال: "لقد كنت منهم، ثم انشققت عنهم وها أنذا قد تواريت عن الأنظار.. أخشى الظهور في النور.. إنها جماعة ذات تعاليم سرية، تستهوي الشبان بتدخين الحشيش، وبإيحاءات مغرية عن لذائذ كبرى بعد الموت، وبمزاعم توهم ذوي القلوب الساذجة بأن رئيس الجماعة قادر على كل شيء، وليس جزاء طاعته إلاّ الجنة.. فإذا آمن شاب بهذا كله، وجهوه إلى حيث يريدون فيفعل ما يؤمر به، في طاعة عمياء، مستعجلاً الموت ليحظى باللذات الموعودة".

وسأل عمر الخيام عن مقرهم، فعرف أن لهم بلدات كثيرة، بعضها في سوريا، وبعضها في كردستان، وباقيها منتشر في مختلف الأقطار. ولكن مقر قيادتهم الرئيس هو قلعة في وادٍ شمالي بلاد الفرس، أطلق عليه اسم قلعة "الموت".

وفي برجه، بقصر الملك، جلس عمر الخيام يعد العدة للذهاب إلى معقل (الفداوية)، ليكشف سرهم.. وركعت الجارية "يافا" إلى جواره تذرف الدمع،

وتناشده ألاّ يذهب، خشية ألاّ يعود.. ثم راحت تتوسل إليه أن يصحبها معه، فتكون عوناً له، وتشاطره ما قدر له من مصير. غير أن رفض، وأمرها بالبقاء حتى يعود.. وإذْ هما كذلك، سمعا طرقاً على الباب، ثم دخلت إحدى الجواري.. وما أن رأى عمر هذه القادمة، حتى خفق قلبه، وارتعشت أطرافه، وسألها ملهوفا عما تريد؟!

تلك كانت جارية حبيبته "شيرين"، وقد جاءته بنبأ ما كان ليحلم به: "تقول لك سيدتي أنها ذاهبة إلى العشاء في بيت أبيها، وستقضي دقائق بالحديثة قبل أن تعود إلى القصر".. افتدري ماذا يفعل الفريق اليائس، إذا ما مدّ يده مصادفة فعثر على طوق النجاة؟.. إن شعوره لا يقاس بالابتهاج الذي سرى في كل أوصال عمر الخيام عندما سمع هذه الرسالة.

وانطلق عمر يطوف بالطرقات والعالم كله لا يكاد يتسع لبهجته.. تراقصت المشاهد من حوله، واندفع الشعر إلى لسانه.. حتى إذا كانت اللحظة الموعودة تسلق السور، وهبط إلى الحديقة، فجلس تحت الخميلة التي اعتاد أن يلقى تحت ظلالها حبيبته، فيما مضى.. وراح ينتظر، وعيناه تكاد أن تنطلقا من محجريهما، لتسبقاه إلى استقبال الحبيبة.. وانقضت برهة ظنها دهراً، ثم أقبلت شيرين.. هي هي لم تتغير، بمشيتها، وقامتها الهيفاء، وجمالها الخلاّب.. وروحها!

وقفز من مكانه وقد استحال شوقه إلى حمى متأججة، فاحتواها بين ذراعيه.. وانصهرت شفتاه على شفتيها في قبلة طويلة، وغابا عن الدنيا.. غابا في عالم من الوجد المتبادل.. وبقيا برهة كأنها الحلم.. ولكن لكل حلم نهاية. فقد كان لا بد لشيرين من أن تعود إلى القصر، فافترقا في لوعة وأسى، ولم يزدهما اللقاء إلاّ اكتواء بسعير الحقيقة.. الحقيقة التي كانت تقضي عليهما بأن يعيشا متباعدين.

وآن الوقت لعمر الخيام أن يسعى إلى مقتل "الفداوية"، فسافر أياماً حتى وصل إلى المكان المقصود.. قلعة على مرتفع من الأرض لا يصل الإنسان إليها إلاّ عن طريق دروب وعرة ضيقة، تراكمت فيها الجماجم والجثث، بعضها حديث القتل وبعضها طال عليه الأمد.. وكان من الجلي أن هؤلاء هم الذين سوّلت لهم أنفسهم، كما سولت له نفسه، زيارة هذا المعقل الغامض.. وفكّر في العودة، لكن الآوان قد فات، إذْ أنه لم يلبث أن لمح رجالاً من القلعة يشيرون إليه من فوق الأسوار مرحبين.. ترى أكانوا يعرفون؟! أم أنها خدعة يستدرجونه بها ليوغل في طريق الموت؟!

وما كاد يصل إلى القلعة حتى فتحت له الأبواب، وخرج إليه شيخ فاستقبله أحسن استقبال، وهو يردد على مسمعيه: "مرحباً بك يا عمر الخيام.. إننا لنرحب بك لأنك زائر مسالم، ونحن نعلم أنك إنما جئت لدراسة الفلك فدونك وما تريد!" قال عمر: "عجيب حقا.. من أين لكم هذا العلم؟ لا ريب أن لكم عيونا في كل مكان كما سمعت عنكم.

وجاس به الرجل خلال القلعة يريه كل نواحي الحياة فيها: كيف يعيش أهلها، وما مدى قوتهم، وكيف يدربون أعوانهم حتى يرضخوا لمشيئتهم، فينفذون طوع إرادة الخليفة الذي هو رئيس الطائفة.

وسأل عمر عمن يكون الخليفة، لكنه لم يتلق إجابة عن هذا السؤال، وإن عرف أنه في مكان ما خارج القلعة.

وفي تلك الليلة، كانت المفاجأة الكبرى لعمر الخيام أن زارته امرأة محجبة، قيل له أنها عون للجماعة.. وما أن رفعت المرأة الحجاب، حتى تملكت الدهشة عمر.. فقد كانت زائرته هي الملكة "زارادا"، زوجه الشاه، وأم ابنه الملك أحمد!

وقالت له الملكة: "لا تعجب، فإنما جئت قبلك بقليل.. لماذا لا تكون أنتَ الآخر عوناً لنا؟ إنك رسمت للشاه خطة دلت على عقل كبير، فلماذا لا تنضم إلينا فتكون لنا مستشاراً؟! إن الملك لن يلبث أن يؤول إلينا، فأنا الملكة الخرز وسيساعدني "الفادوية" في مأربي ذاك، وسيكون لك معنا شأن". وبهت عمر فلم يدر ما يقول، ولم يملك لطلبها رفضاً أو قبولاً، بل رفع بصره إلى السماء متعجباً حائراً.

وبقي عمر الخيام في حيرته.. ولم يدر كم من الزمن ولكنه فطن إلى نفسه فإذا بالقلعة تفيض حركة ونشاطاً. وسأل عما كان يجري، فقيل له: "لقد جاء رئيسنا الأعلى، ولسوف يستقبلك حالاً".. وقادوه إلى القاعة الكبرى في القلعة، فوجدها قاعة فسيحة مليئة بقوم من "الفداوية" في ملابس حمراء.. وفي صدر القاعة جلس رئيسهم الأعلى، فيثوب أبيض. وإلى جواره وقفت الملكة زارادا، فتقدم عمر الخيام من الرئيس، وتفرس فيه.. وبهت، وأجفل.. ثم أعاد النظر عسى أن يكون مخطئاً.. لكنه تيقن من أن الرئيس الأعلى لم يكون سوى.. الحسن الصباح!

وقال له الحسن: "مرحباً بك في قلعتنا يا صديقي.. إنما نحن في حاجة إليك، وسنوفر لك كل ما تشاء من أدوات البحث، لتبقى هنا مستشاراً لي.. تلبس الأبيض مثلي، وتقف إلى جواري.. ولقد كان بودي أن يكون نظام الملك معنا هنا، حتى تكتمل الصحبة، غير أن إخلاصه للشاه جرّ عليه الشقاء.. لقد مات!".

وفجع عمر الخيام لسماعه هذا الخبر، فثار، وهدّد وتوعد.

فقال الحسن: "إنما لا أريد أن أرغمك على شيء، فاذهب حيث شئت، ولكنك القاضي على نفسك بذلك، فلن تلبث دائرة الحرب أن تدور على الشاه ومن معه، إذ أنه رغم انتصاره على البيزنطيين، قد فقد نصف جيشه،

وجرح هو وابنه".. وخرج عمر الخيام غاضباً بعد أن أعلن الحسن بانتهاء عهد الصداقة بينهما.

وما أن غادر عمر الخيام قلعة الموت سالما، حتى توجه إلى معسكر جيش الشاه، فرحب به الشاه الجريح ترحيباً كبيراً، إذْ كان معترفاً بأنه مدين بنصره لمشورة عمر.. وبينما هو في خيمة الشاه مع الأطباء، جاءهم النذير بأن الأمير أحمد قد سار إلى مدينة نيسابور، في جمع من أعوانه، يريد الاستيلاء على القصر.. ودبّ اليأس في قلب الشاه وقادته، وتحمس الأمير مالك قليلا، فقال لأبيه:

"أعطني الجند من حرسك الخاص و أنا أذهب إليه فأؤدبه".

لكن الشاه لم يعجبه كل ما سمع من آراء، وطلب المشورة لدى عمر الخيام، فشرح هذا الموقف للجميع قائلاً: "ليس هذا العمل من شأن الأمير فحسب، إنما هو مدفوع بآخرين.. إنه ما كان ليجرؤ على السير إلى القصر لو أنه كان وحده، بيد أنني علمتُ أخيراً أن (الفداوية) يساعدونه على الإنتصار حتى ينصبوه وأمه على الملك". ودهش الجميع لهذا القول فأردف عمر موضحاً: "لقد جئتُ لتوي من قلعة الموت، وقد رأيت الملكة زارادا هناك تشاطرهم الأمر. فإذا أردنا انتصاراً، فعلينا أن نقضي أولاً على جماعة "الفداوية"، وإلاّ فسيظل آذاهم يلاحقنا ولو قضينا على الأمير أحمد.

وتساءل بعض القادة: "وكيف يمكنننا مواجهة قوتهم، فضلاً عن قوة الأمير أحمد، ونحن على هذه الحال من الإنهاك؟". فأجاب عمر: "ليبادر الأمير مالك إلى القصر فيخرج منه النساء والأطفال، أولاً، ويقودهم إلى الوادي المجاور لقلعة الموت، حتى إذا ذهب الأمير أحمد إلى هناك لم يظفر بطائل. وإذْ ذاك، سيتجه شطر القلعة فيجدنا بكل قوتنا في استقباله.. أما أمر القلعة فسهل. لقد كنت فيها فرأيت أنها قلعة قديمة ترجع إلى عهد الرومان. وقد

استرعى انتباهي فيها أمر غريب.. ذلك أن جدران أقبيتها السفلى ترشح نفطاً.. ويتجمع هذا النفط في برك صغيرة بين المغاور السفلى، فيحمله "الفداوية" من هناك، ويستخدمونه للإضاءة. فإذا تمكنا من حفر ممر في الصخور، وهي هشة في أحد الجوانب، لأشعلنا الزيت ناراً، فيموت "الفداوية" اختناقاً بالدخان الكثيف. وإذْ ذاك يفقد الأمير أحمد حلفاءه فيجبن عن القتال.. ولو أنه قاتل لهزمناه بأيسر الوسائل".

وتهلل وجه الشاه والقادة لهذه الخطة الرائعة، وشرعوا في تنفيذها فوراً. واستطاع الأمير مالك أن ينقل النساء والأطفال.. وما أن وصل الموكب حتى عم البشر روح الشاه والقادة، ولكن عمر افتقد واحدة من النساء، ليست شيرين على أي حال، فسأل: "أين الجارية يافا؟"

وإذا بالغم يسعى في نفسه، فيحوّل سرورها إلى اكتئاب، إذْ قيل له أن الحسن الصباح قد أخذها عند رحيله إلى القلعة.. أجل لا بدّ أنه أجبرها على الرحيل، فقد كان عمر مومناً بأن إخلاصها لأسمى من أن ينال منه التحول.. وسرت روح من الاغتمام في قلب عمر، وها قد هاله أن تتعرض الفتاة الوفية لمصير أهل القلعة.. للاحتراق.

ولكن هذا لم يقعده عن تنفيذ خطته، فما كان أسرع بأن أمر الأسرى من البيزنطيين أن يجمعوا، وأن يشرعوا في حفر الطريق إلى النفط خلال الصخر.

وتهالك الشاه واستفحل به سوء الحال من جراء جرحه. فخارت قواه، ودبّ الموت في أوصاله.. واستدعى ابنه الأمير مالك وراح يوجه إليه وصاياه الأخيرة. واختتمها قائلاً: "عليك بالتزام مشورة عمر الخيام، فقد أظهر لنا إخلاصاً ندر أن تجد مثله".. ثم فاضت روحه إلى بارئها.

ونكست الأعلام، ودقت الطبول وكأنها أصوات القلوب المحزونة تودع روح الشاه في سفرها إلى مقرها الأخير.. سمع سكان قلعة الموت هذه الدقات، ورأوا الأعلام تنكس، فأدركوا ما نزل بمعسكر أعدائهم، وأعلنوا الفرح.. وذهبت الملكة زارادا إلى يافا، سجينة القلعة، وقالت: "أما زلت تخلصين لعمر؟ لقد مات الشاه وسيفرغ هو الآن لحبيبته شيرين، فأين مكانك بينهما؟ وهل كان لك مكان من قبل، ترين.. ماذا كان يفعل وإياها أثناء سفر الشاه، وأثناء مرضه؟!"

وجاء الحسن فأمسك بحمامة من البرج، وربط بها رسالة إلى الأمير أحمد ينبئه فيها بموت الشاه، ثم أطلقها. وانصرف مع الملكة بعد أن أغلقا الباب على يافا من جديد. فظلت المسكينة في وحدتها حزينة كسيفة البال، ترى المكائد تحاك للنيل من حبيب قلبها، دون أن تجد السبيل إلى إنقاذه. ولكن.. ما الذي كان باستطاعتها أن تفعل وهي السجينة؟

وأنصتت إذ استرعت سمعها فجأة دقات معاول في الصخر، فتطلعت من أعلى البرج، وإذ بها ترى جمعاً من الناس ينقبون الصخر، وقد أشرف عليهم عمر الخيام.. رجل أحلامها.. على أنها لم تكن الوحيدة التي سمعت الطرقات، إذْ سمعها أيضاً الحسن الصباح، فجاء إلى البرج ليشهد ما يحدث، ثم ضحك من أعدائه.. ما أمر هؤلاء المجانين أيضربون في الصخر؟

وأرادت يافا أن تصنع شيئاً، ففكرت.. لماذا لا أطلق الحمام الزاجل حتى يعجزوا عن إرسال الرسائل إلى الخارج؟ نعم، إنها لفكرة.. وتسللت إلى أقفاص الحمام فأطلقتها وسرعان ما كان يرفرف في السماء. ورأى الحسن الصباح ما فعلته فجاء في ثلة من أعوانه، وقد أعماهم الغيظ، وألقوا بها من قمة البرج فسقطت مهشمة بالقرب من مكان وقوف حبيبها، كأنها تسلم إليه حياتها.. بعد أن أسلمته قلبها!

وكان حزن عمر الخيام عارماً، ولكنه سرعان ما انقلب في نفسه فكان عزما..

وراح يستحث الأسرى على شق الطريق خلال الصخر.. وفي تلك الأثناء، اقترب الأمير أحمد زاحفا بجيشه، فلم يكترث به عمر، وتركه للأمير مالك، بينما ثابر مع رجاله على ضرب الصخر بالمعاول، حتى تداعي سطحه الخارجي عن كوة، كما توقع عمر من قبل، فأسرع يلقي خلالها بقطعة من نار، وإذا بالنار تسري في النفط فتنتقل من حائط إلى حائط، ويتصاعد منها دخان أخذ يتكاثف ويشتد ويتسلل خلال مغاورها ومنافذها.

ورأى الأمير أحمد قلعة الموت وكأنها قطعة من لهب، فلم يستطع مقاومة، وانطلق على جواده موليا الأدبار، ومن خلفه أعوانه.. ومن ورائهم رجال الأمير مالك يلاحقونهم ويفتكون بهم.

وكانت التقاليد تقضي بألاّ تتزوج زوجات الشاه من بعده، فأعفى الأمير مالك زوجة أبيه شيرين من هذا التقليد، وقال لعمر:

"إنها حرة الآن، فاذهب إليها في دار أبيها، فلعلها أن تكون في انتظارك".

وركب جواده فطار به إلى الروضة، وتسلق الجدار، ثم هبط متعلقاً بالشجرة الهرمة. ووجد فاتنته في مكانها المعهود، تنتظر.. وتلاشى الزمن، وتبدد الماضي، فخيل إليهما أن شيئاً لم يحدث، وأنهما في مكانهما كما كانا بالأمس.. يوم جاءها عند مطلع الشمس.. فاحتواها بين ذراعيه.

رباعيات الخيام

تعريب: أحمد رامي

سمعت صوتا هاتفاً في السحر

نادى من الحان : غفاة البشر

هبوا املأوا كأس الطلى قبل أن

تفعم كأس العمر كف القدر

أحس في نفسي دبيب الفناء

ولم أصب في العيش إلا الشقاء

يا حسرة إن حان حيني ولم

يتح لفكري حل لغز القضاء

أفـــق وصـــب الخمـــر أنعـــم بهـــا

واكشـف خفايـا الـنفس مــن حجبهـا

و إروي أوصـــــالي بهـــــا قبلمـــــا

يصـــاغ دن الخمـــــر مــــن تربهــــا

تـــــــروح أيـــــامي ولا تغتـــــــدي

كمـــا تهـــب الـــريح في الفدفـــد

ومـــا طويـــت الـــنفس همـــا علـــى

يـــومين : أمــــس المنقضــــي والغــــد

غـــد بظهـــر الغيـــب واليـــوم لـــي

وكـــم يخيـــب الظـــن في المقبـــل

ولست بالغافل حتى أرى

جمال دنياي ولا أجتلي

سمعت في حلمي صوتاً أهاب

ما فتق النوم كمام الشباب

أفق فإن النوم صنو الردى

واشرب فمثواك فراش التراب

قد مزق البدر ستار الظلام

فاغنم صفا الوقت وهات المدام

واطرب فإن البدر من بعدنا

ترى علينا في طباق الرغام

سأنتحى الموت حثيث الورود

وينمحي اسمي من سجل الوجود

هات اسقنيها يا منى خاطري

فغاية الأيام طول الهجود

هات اسقنيها أيهذا النديم

أخضب من الوجه اصفرار الهموم

وان أمت فاجعل غسولي الطلى

وقد نعشي من فروع الكروم

إن تقتلع من أصلها الأغصان سرحتى

وتصبح الأغصان قد جفت

فصغ وعاء الخمر من طينتي

واملأه تسر الروح في جثتي

لبست ثوب العيش لم أستشر

وحرت فيه بين شتى الفكر

وسوف أنضوه برغمي ولم

أدرك لماذا جئت أين المفر

نمضى وتبقى العيشة الراضية

وتنمحي آثارها الماضية

فقبل أن نحيا ومن بعدنا

وهذه الدنيا على ماهيا

طــــوت يـــــد الأقـــــدار ســــــفر الشـــــباب

وصـــــوحت تلـــــك الغصـــــون الرطـــــاب

وقـــــد شـــــدا طـــــير الصـــــبى واختفـــــى

متـــــى أتـــــى يـــــا لهفـــــى أيـــــن غـــــاب

الـــــدهر لا يعطـــــى الـــــذى نأمـــــل

وفي ســـــبيل اليـــــأس مـــــا نعمـــــل

ونحـــــن في الـــــدنيا علـــــى همهـــــا

يســـــوقنا حـــــادي الـــــردى المعجـــــل

أفـــــق خفيـــــف الظـــــل هـــــذا الســـــحر

وهاتهـــــا صـــــرفا ونـــــاغ الـــــوتر

فمـــا أطـــال النـــوم عمـــر الـــذي

نـــام ولا عـــاد الـــذي قـــد غـــبر

اشـــرب فمثـــواك الـــتراب المهيـــل

بـــلا حبيـــب مـــؤنس أو خليـــل

وانشـــق عـــبير العـــيش في فجـــره

فلـــيس يزهـــو الـــورد بعـــد الـــذبول

كـــم آل الـــدهر فـــؤادا طعـــين

وأســـلم الـــروح ظعـــين حـــزين

ولـــيس ممـــن فاتنـــا عائـــد

أســـأله عـــن حالـــة الـــراحلين

يـــا دهـــر أكـــترث البلـــى والخـــراب

وسمـــت كـــل النـــاس ســـوء العـــذاب

ويـــا ثـــرى كـــم فيـــك مـــن جـــوهر

يـــبين لـــو ينـــبش هـــذا الـــتراب

وكـــم تـــوالى الليـــل بعـــد النهـــار

وطـــال بـــالأنجم هـــذا المـــدار

فـــامش الهـــوينى إن هـــذا الثـــرى

مـــن أعـــين ســـاحرة الاحـــورار

أيـــن النـــديم الســـمح أيـــن الصـــبوح

فقـــد أمـــض الهـــم قلـــبي الجـــريح

ثلاثـــــة هـــــن أحـــــب المنـــــى

خمـــــر وأنغـــــام ووجـــــه صـــــبيح

نفوســـنا ترضـــى احتكـــام الشـــراب

أرواحنـــا تفـــدى الثنايـــا العـــذاب

وروح هـــــذا الـــــدن نســـــتله

ونســـــتقيه ســـــائغا مســـــتطاب

يـــا نفـــس مـــا هـــذا الأســـى والكـــدر

قـــد وقـــع الأثـــم وضـــاع الحـــذر

هـــل ذاق حلـــو العفـــو إلا الـــذي

أذنـــــب والله عفـــــا واغتفـــــر

نلــــبس بــــين النـــاس ثـــوب الريـــاء

ونحــــن في قبضــــة كـــف القضـــاء

وكـــــم ســـــعينا نرتجـــــى مهربـــــاً

فكــــان مســــعانا جميعـــــاً هبـــــاء

لم تفـــتح الأنفـــس بـــاب الغيـــوب

حتـــى تـــرى كيـــف تســـام القلـــوب

مـــا أتعـــس القلـــب الـــذي لم يكـــد

يلتـــــام حتـــــى أنكأتـــــه الخطـــــوب

عامـــــل كأهلـــــك الغريـــــب الـــــوفي

واقطـــع مـــن الأهـــل الـــذى لا يفـــي

وعــــف زلالا لـــيس فيـــه الشـــفا

واشـــرب زعـــاف الســـم لـــو تشـــتفي

أحســـــن إلى الأعـــداء والأصـــــدقاء

فإنمـــا أنـــس القلـــوب الصـــفاء

واغفـــــر لأصـــــحابك زلاتهـــــم

وســـامح الأعـــداء تمـــح العـــداء

عاشـــر مـــن النـــاس كبـــار العقـــول

وجانـــب الجهـــال أهـــل الفضـــول

واشـــرب نقيـــع الســـم مـــن عاقـــل

واســـكب علـــى الأرض دواء الجهـــول

يـــــا تـــــارك الخمــــــر لمــــــاذا تلــــوم

دعـــــني إلى ربــــــي الغفــــور الــــرحيم

ولا تفــــــــاخرني بهجــــــــر الطلـــــــى

فأنــــــت جـــــــان في ســــــواها أثـــــيم

اطفـــئ لظـــى القلـــب بـــبرد الشـــراب

فإنمـــــــا الأيــــــام مثـــــل الســــــحاب

وعيشـــــــنا طيــــــف خيــــــال فنـــــل

حظــــك منــــه قبـــل فــــوت الشــــباب

بســــــتان أيامـــــك نـــــامي الشــــجر

فكيـــــف لا تقطــــف غـــــض الثمـــــر

اشـــــرب فهـــــذا اليــــــوم إن أدبــــــرت

بـــــه الليـــــالي لم يعـــــده القـــــدر

جــادت بســاط الــروض كــف الســحاب

فنـــــزه الطـــــرف وهـــــات الشـــــراب

فهـــــذه الخضـــــرة مـــــن بعـــــدنا

تنمـــــو علـــــى أجســـــادنا في الـــــتراب

وإن تـــــواف العشـــــب عنـــــد الغـــــدير

وقـــــد كســـــا الأرض بســـــاطاً نضـــــير

فـــــامش الهوينـــــا فوقـــــه إنـــــه

غدتـــــه أوصـــــال حبيـــــب طريـــــر

يـــا نفـــس قـــد آذاك حمــــل الحـــزن

يـــــا روح مقــــــدور فـــــراق البـــــدن

أقطــــــف أزاهـــــير المنـــــى قبـــــل أن

يجــــف مــــن عيشـــك غــض الفـــنن

يحلـــو ارتشـــاف الخمـــر عنـــد الربيـــع

ونشـــــر أزهـــــار الروابــــي يضـــــوع

وتعـــــــذب الشـــــكوى إلى فـــــاتن

علـــى شـــفا الـــوادي الخصـــيب الينيـــع

فـــلا تتـــب عـــن حســـو هـــذا الشـــراب

فإنمــــا تنــــــدم بعـــــــد المتـــــاب

وكيـــف تصـــحو وطيـــور الربــــى

صــــداحة والـــروض غـــض الجنــــاب

زخــــــارف الـــــدنيا أســــاس الألم

وطالــــب الـــدنيا نــــديم النـــــدم

فكـــن خلــــي البـــال مـــن أمرهـــا

فكـــل مـــا فيهـــا شــــقاء وهــــم

وأســــعد الخلـــق قليـــل الفضـــول

مـــن يجتــوى النـــاس ويرضـــى القليـــل

كأنــــه عنقــــاء فــــوق الســــهى

لا بومــــة تنعــــب بــــين الطلــــول

من يحسب المال أحب المنى

ويذرع الأرض يريد الغنى

يفارق الدنيا ولم يختبر

في كده أحوال هذي الدنى

سرى بجسمي الغض ماء الفناء

وسار في روحي لهيب الشقاء

وهمت مثل الريح حتى ذرت

تراب جسمي عاصفات القضاء

يا من يحار الفهم في قدرتك

وتطلب النفس حمّى طاعتك

أسكرني الإثم (بمعنى الخمر) ولكنني

صحوت بالآمال في رحمتك

لم أشرب الخمر ابتغاء الطرب

ولا دعتني قلة في الأدب

لكن احساسي نزاعاً إلى

إطلاق نفسي كان كل السبب

أفنيت عمري في اكتناه القضاء

وكشف ما يحجبه في الخفاء

فلم أجد أسراره وانقضى

عمرى وأحسست دبيب الفناء

أطـــال أهـــل الأنفـــس الباصـــرة

تفكيرهـــــم في ذاتـــــك القـــــادرة

ولم تـــــزل يـــــا رب أفهـــــامهم

حـــيرى كهـــذي الأنجـــم الحـــائرة

لم يجـــن شـــيئاً مـــن مجيئـــي الوجـــود

ولـــن يضـــير الكـــون أنـــي أبيـــد

واحيرتـــي مـــا قـــال لـــي قائـــل

مـــاذا اشـــتعال الـــروح كيـــف الخمـــود

إذا انطـــوى عيشـــي وحـــان الأجـــل

وســـد وجهـــى بـــاب الأمـــل

قر حباب العمر في كأسه

فصبها للموت ساقي الأزل

إن لم أكن أخلصت في طاعتك

فإنني فئت إلى رحمتك

وإنما يشفع لي أنني

قد عشت لا أشرك في وحدتك

يا رب هيئ سبب الرزق لي

ولا تذقني منة المفضل

وأبقني نشوان كيما أرى

روحى نجت من دائها المعضل

أفنيـــت عمـــري في ارتقـــاب المنـــى

ولم أذق في العـــيش طعـــم الهنـــا

وانـــــني أشـــــفق أن ينقضـــــي

عمـــرى ومـــا فارقـــت هـــذا العنـــا

لم يـــبرح الـــداء فـــؤادي العليـــل

ولم أنـــل قصـــدي وحـــان الرحيـــل

وفـــات عمـــرى وأنـــا جاهـــل

كتـــاب هـــذا الـــدهر جـــم الفصـــول

صـــفا لـــك اليـــوم ورق النســـيم

وجـــال في الأزهـــار دمـــع الغيـــوم

ورجع البلبل ألحانه

يقول: عاقرها وخل الهموم

الدرع لا تمنع سهم الأجل

والمال لا يدفعه إن نزل

وكل ما في عيشنا زائل

لا شيء يبقى غير طيب العمل

الله يدري كل ما تضمر

يعلم ما تخفي وما تظهر

وإن خدعت الناس لم تستطع

خداع من يطوي ومن ينشر

وانمـــــا بـــــالموت كـــــل رهـــــين

فـــاطرب فمـــا أنـــت مـــن الخالـــدين

واشـــرب ولا تحمـــل أســـى فادحـــا

وخـــل حمـــل الهـــم للاحقـــين

رأيـــت خزافـــاً رحـــاه تـــدور

يجـــد في صـــوغ دنـــان الخمـــور

كأنـــه يخلـــط في طينهـــا

جمجمـــة الشـــاة بســـاق الفقـــير

تملـــك النـــاس الهـــوى والغـــرور

وفتنـــة الغيـــد وســـكنى القصـــور

ولــــو تــــزال الحجـــب بانـــت لهـــم

زخــــارف الــــدنيا وعقبــــى الأمـــور

إن الــــذى تــــأنس فيــــه الوفـــار

لا يحفـــظ الــــود وعهـــد الإخــــاء

فعاشـــــر النــــاس علــــى ريبـــــة

مــــنهم ولا تكثـــر مـــن الأصـــدقاء

زاد النـــدى في الزهـــر حتـــى غـــدا

منحنيـــا مـــن حمـــل قطـــر النـــدى

والكــــم قــــد جمـــــع أوراقــــه

فظـــل في زهـــر الربـــى ســـيدا

وأســـــعد الخلـــــق الـــــذى يـــــرزق

وبابـــــــه دون الـــــــورى مغلـــــــق

لا ســـــــيد فـــــــيهم ولا خـــــــادم

لهـــــــم ولكـــــــن وادع مطلـــــــق

قلـــــبي في صـــــدري أســـــير ســـــجين

تخجلـــــه عشـــــرة مـــــاء وطـــــين

وكـــــم جـــــرى عزمـــــي بتحطيمـــــه

فكـــــان ينهـــــاني نـــــداء الـــــيقين

مصـــــباح قلـــــبي يســـــتمد الضـــــياء

مـــــن طلعـــــة الغيـــــد ذوات البهـــــاء

لكنني مثل الفراش الذي

يسعى إلى النور وفيه الفناء

طبعي ائتناسي بالوجوه الحسان

وديدني شرب عتاق الدنان

فاجمع شتات الحظ وانعم بها

من قبل أن تطويك كف الزمان

تعاقب الأيام يدني الأجل

ومرها يطويك طي السجل

وسوف تفنى وهي في كرها

فقض ما تغنمه في جذل

لا تشـــغل البـــال بماضـــي الزمـــان

ولا بـــــآتي العـــــيش قبـــــل الأوان

واغـــــنم مــــن الحاضـــــر لذاتـــــه

فلـــــيس في طبـــع الليـــالي الأمـــان

قـــالوا لـــدى الحشـــر يكـــون الحســـاب

فيغضــــــب الله الشـــــديد العقــــاب

ومـــــا انطـــوى الـــرحمن إلا علـــــى

انالـــــة الخـــــير ومــــــنح الثـــــواب

كـــــأن الــــــذى صــــــورني يعلــــــم

في الغيـــــب مـــــا أجــــني ومـــــا آثـــــم

فكيـــــف يجـــــزيني علــــى أنــــني

أجرمــــت والجــــرم قضـــاء مــــبرم

هــات اســقني كــأس الطلــى السلســل

وغــــنني لحنــــاً مــــع البلبــــل

فإنمـــــا الأبريــــــق في صـــــبه

يحــــاكي خريـــر المـــاء في الجـــدول

الخمـــر في الكـــأس خيـــال ظريـــف

وهـــــى بجـــــوف الـــدن روح لطيـــف

أبعـــد ثقيـــل الظـــل عـــن مجلســـي

فإنمــــا للخمــــر ظــــل خفيـــف

بات نديمي ذو الثنايا الوضاح

وبيننا زهر أنيق وراح

وافتض من لؤلؤ أصدافها

فافتر في الآفاق ثغر الصباح

نار الهوى تمنع طيب المنام

وراحة النفس ولذ الطعام

وفاتر الحب ضعيف اللظى

منطفئ الشعلة خابي الضرام

القلب قد أضناه عشق الجمال

والصدر قد ضاق بما لا يقال

يـــا رب هـــل يرضـــيك هـــذا الصـــدى

والمـــــــاء ينســـــــاب أمـــــــامي زلال

خلقتنـــــى يـــــا رب مـــــاء وطــــين

وصــــغتني مـــــا شـــئت عـــزا وهـــون

فمـــا احتيـــالي والـــذي قـــد جـــرى

كتبتـــه يـــا رب فــــوق الجـــــبين

و يـــا فـــؤادي تلـــــك الخيـــال

فـــلا تنـــؤ تحـــت الهمـــوم الثقـــال

وســـــلم الأمــــر فمحـــــو الـــــذي

خطـــت يـــد المقـــدار أمـــر محـــال

وإنمـــــا نحــــن رخــــاخ القضـــــاء

ينقلنــــا في اللــــوح أنــــى يشــــاء

وكــــل مــــن يفــــرغ مــــن دوره

يلقــــى بــــه في مســــتقر الفنــــاء

رأيــــت صــــفا مــــن دنــــان ســــرى

مــــا بينهــــا همــــس حــــديث جــــرى

كأنهــــا تســــأل : أيــــن الــــذي

قــــد صــــاغنا أو باعنــــا أو شــــرى

ســــطا البلــــى فاغتــــال أهــــل القبــــور

حتــــى غــــدوا فيهــــا رفاتــــا نــــثير

أيـــــن الطلــــى تتركـــــني غائبـــــا

أجهـــل أمـــر العـــيش حتـــى النشـــور

إذا ســــقاني المـــوت كـــأس الحمـــام

وضــــمكم بعـــــدي مجـــال المـــدام

فـــــأفردوا لــــي موضـــعي واشــــربوا

في ذكـــر مـــن أضـــحى رهـــين الرجـــام

مـــن وجنـــة الأزهـــار شـــف النقـــاب

وفـــــى فـــــؤادي راحــــة للشــــراب

فـــلا تـــنم فالشـــمس لمـــا يـــزل

ضـــــياؤها فـــوق الربـــى والهضـــاب

فكـــم علـــى ظهـــر الثـــرى مـــن نيـــام

وكـــم مـــن الثـــاوين تحـــت الرغـــام

وأينمـــــــا أرمـــــــي بعـــــــيني أرى

مشـــــيعاً أو نهـــــزة للحمـــــــام

يـــــا رب في فهمـــــك حـــــار البشـــــر

وقصـــــــر العـــــــاجز والمقتـــــــدر

تبعـــــث نجـــــواك وتبـــــدو لهـــــم

وهـــم بـــــلا سمـــــع يعـــــي أو بصـــــر

بـــيني وبـــين الـــنفس حـــرب ســـجال

وأنـــــت يـــــا ربـــــي شـــــديد المحـــــال

أنتظـــــــــر العفـــــــو ولكـــــــنني

خجـــلان مـــن علمـــك ســـوء الفعـــال

شـــقت يـــد الفجـــر ســـتار الظـــلام

فـــانهض ونـــاولني صـــبوح المـــدام

فكـــــم تحيينـــــا لـــــه طلعـــــة

ونحـــــن لا نملـــــك رد الســـــلام

معـــاقرو الكـــأس وهـــم ســـادرون

وقـــائمو الليـــل وهـــم ســـاجدون

غرقـــى حيـــارى في بحـــار النهـــى

والله صـــــاح والـــــورى غـــــافلون

كنـــا قصـــرنا قطـــرة في عبـــاب

عشـــنا وعـــدنا ذرة في الـــتراب

جئنـــا إلى الأرض ورحنـــا كمـــا

دب عليهـــا النمـــل حينـــا وغـــاب

لا أفضـــح الســـر لعـــال ودون

ولا أطيـــل القـــول حـــين يـــبين

حـــالي ولا أقـــوى علـــى شـــرحها

وفـــى حنايـــا الصـــدر ســـرى دفـــين

أوى بهـــذي الأعـــين الهاجـــدة

أن تعتـــدي في أنســـتها ســـاهدة

تنفس الصبح فقم قبل أن

تحرمه أنفاسنا الهامدة

مذ أبدع الكون العليم السميع

لم ير مثل الخمر شيء بديع

عجبت للخمار هل يشتري

لماله أحسن مما يبيع

هوى فؤادي في الطلى والحباب

وشجوى أذني في سماع الرباب

أن يصغ الخزاف من طينتي

كوباً فأترعها ببرد الشراب

يـــا مــــدعي الزهـــد أنـــا أكـــرم

منـــــك وعقلـــــي ثمـــــلاً أحكـــــم

تســـــتنزف الخلـــق ومـــا أســـتقي

إلا دم الكـــــرم فمـــــن آثـــــم

الخمـــر كـــالورد وكـــأس الشـــراب

شـــفت فكانـــت مثـــل ورد مـــذاب

كأنمـــــا البـــــدر ثنـــــا ضـــــوءه

فكـــان حـــول الشـــمس منـــه نقـــاب

لا تحســـبوا أنـــي أخـــاف الزمـــان

أو أرهـــب المـــوت إذا المـــوت حـــان

الموت حق لست أخشى الردى

وإنما أخشى فوات الأوان

لا طيب في الدنيا بغير الشراب

ولا شجى فيها بغير الرباب

فكرت في أحوالها لم أجد

أمتع فيها من لقاء الصحاب

عش راضياً واهجر دواعي الألم

وأعدل مع الظالم مهما ظلم

نهاية الدنيا فناء فعش

فيها طليقاً واعتبرها عدم

لا تأمـــل الخـــل المقـــيم الوفـــاء

فإنمـــا أنـــت بـــدنيا الريـــاء

تحمـــل الـــداء ولا تلـــتمس

لـــه دواء وانفـــرد بالشـــقاء

اليـــوم قـــد طـــاب زمـــان الشـــباب

وطابـــت الـــنفس ولـــذ الشـــراب

فـــلا تقـــل كـــأس الطلـــى مـــرة

فانمـــا فيهـــا مـــن العـــيش صـــاب

ولـــيس هـــذا العـــيش خلـــدا مقـــيم

فمـــا اهتمـــامي محـــدث أم قـــديم

ســـــنترك الـــــدنيا فمـــــا بالنـــــا

تضـــــيع منهـــــا لحظـــــات النعـــــيم

حتـــام يغـــرى الـــنفس بـــرق الرجـــاء

ويفـــــزع الخـــــاطر طيـــــف الشـــــقاء

هـــــات اســـــقنيها لســـــت أدري إذا

صـــــعدت أنفاســـــي رددت الهـــــواء

دنيـــــاك ســـــاعات ســـــراع الـــــزوال

وإنمـــــا العقبـــــى خلـــــود المـــــآل

فهـــــل تبيـــــع الخلـــــد يـــــا غـــــافلاً

وتشـــــتري دنيـــــا المنـــــى والضـــــلال

يا من نسيت النار يوم الحساب

وعفت أن تشرب ماء المتاب

أخاف إن هبت رياح الردى

عليك أن يأنف منك التراب

يا قلب كم تشقى بهذا الوجود

وكل يوم لك هم جديد

وأنت روحي ماذا جنت

نفسي وفي النهاية رحيل بعيد

تناثرت أيام هذا العمر

تناثر الأوراق حول الشجر

فـــأنعم مـــن الـــدنيا بلـــذاتها

مـــن قبـــل أن تســـفيك كـــف القـــدر

لا تـــوحش الـــنفس بخـــوف الظنـــون

واغـــنم مـــن الحاضـــر أمـــن الـــيقين

فقـــد تســـاوى في الثـــرى راحـــل

غـــداً وثـــاو مـــن ألـــوف الســـنين

مـــررت بـــالخزاف في ضـــحوة

يصـــوغ كـــوب الخمـــر مـــن طينـــة

أوســـعها دعـــا فقالـــت لـــه

هـــل أقفـــرت نفســـك مـــن رحمـــة

لــــو أنــــني خيّـــرت أو كـــان لـــي

مفتــــاح بـــاب القــــدر المقفــــل

لاخــــترت عــــن دنيـــا الأســـى إنـــني

لم أهـــــبط الـــــدنيا ولم أرحـــــل

هبطـــت هـــذا العـــيش في الآخـــرين

وعشــــت فيـــه عيشــــة الخــــاملين

ولا يــــــوافيني بمــــــا ابتغـــــي

فـــأين مــــني عاصــــفات المنــــون

حكمـــك يـــا أقـــدار عـــين الضـــلال

فـــأطلقيني مــــن نفســـي العقـــال

إن تقصري النعمى على جاهل

فلست من أهل الحجا والكمال

إذا سقاك الدهر كأس العذاب

فلا تبن للناس وقع المصاب

واشرب على الأوتار رنانة

من قبل أن تحطم كأس الشراب

لا بد للعاشق من نشوة

أو خفة في الطبع أو جنة

والصحو باب الحزن فاشرب تكن

عن حالة الأيام في غفلة

أنـــا الـــذى عشـــت صـــريع العقـــار

في مجلـــس تحييـــه كـــأس تـــدار

فعـــد عـــن نصـــحي لقـــد أصـــبحت

هـــذي الطلـــى كـــل المنـــى والحيـــار

أعلـــم مـــن أمـــري الـــذى قـــد ظهـــر

وأستشـــــف البـــــاطن المســـــتتر

عـــــدمت فهمـــــي إن تكـــــن نشـــوتي

وراءهـــــا منزلـــــة تنتظـــــر

طـــارت بـــي الخمـــر إلى منـــزل

فـــوق الســـماك الشـــاهق الأعـــزل

فأصـــــــبحت روحـــــــي في نجــــوة

مـــــن طـــين هـــذا الجســـد الأرذل

ســـــئمت يـــــا ربــــي حيــــاة الألم

ربـــي انتشـــلني مـــن وجـــودي فقـــد

جعلـــت في الـــدنيا وجـــودي عـــدم

لم يخـــل قلـــبي مـــن آثـــار الهمـــوم

أو تـــرض نفســـي عـــن وجـــودى الألـــيم

وكـــــم تأدبـــــت بأحداثـــــه

ولم أزل في ليـــــل جهـــــل بهـــــيم

الله قـــــد قـــــدر رزق العبـــــاد

فلا تأمل نيل كل المراد

ولا تذق نفسك مر الأسى

فإنما أعمارنا للنفاد

إن الذى يعرف سر القضاء

يرى سواء سعده والشقاء

العيش فان فلندع أمره

أكان داء مسنا أو دواء

يا طالب الدنيا وقيت العثار

دع أمل الربح وخوف الخسار

واشرب عتيق الخمر فهي التي

تفـــك عـــن نفســـك قيـــد الاســـار

الكـــأس جســـم روحـــه الســـاريه

هـــذي الســـلاف المـــزة الصـــافية

زجاجهـــا قـــد شـــف حتـــى غـــدا

مـــاء حـــوى نيرانهـــا الجاريـــة

قـــد ردد الـــروض غنـــاء الهـــزار

وارتاحـــت الـــنفس لكـــأس العقـــار

تبســـم النـــور فقـــم هاتهـــا

نثـــأر مـــن الأيـــام قبـــل الـــدمار

بـــى مـــن جفـــاء الـــدهر هـــم طويـــل

ومـــن شـــقاء العــــيش حـــزن دخيـــل

قلبـــى كـــدن الخمـــر يجـــرى دمـــا

ومقلـــتي بالـــدمع كـــأس تســـيل

وكلمــــا راقبـــت حـــال الــــزمن

رأيتـــــه يحـــــرم أمـــــل الفطـــــن

ســــبحان ربـــي كلمــــا لاح لـــــي

نجــــم طوتـــه ظلمـــــات المحـــــن

مـــــاذا جنينــــا مـــــن متـــــاع البقـــــاء

مـــــاذا لقينـــــا في ســـــبيل الفنـــــاء

هــــل تبصــــر العــــين دخـــــان الألى

صـــاروا رمـــادا في أتـــون القضـــاء

تلـــك القصـــور الشـــاهقات البنـــاء

منـــازل العـــز ومجلـــى الســـناء

قـــد نعـــب البـــوم علـــى رسمهـــا

يصـــيح : أيـــن المجـــد أيـــن الثـــراء

هـــون علـــى الـــنفس احتمـــال الهمـــوم

واغـــنم صـــفا العـــيش الـــذى لا يـــدوم

لـــو كانـــت الـــدنيا ونـــت الألى

راحـــوا لمـــا جـــاءك دور النعـــيم

وانمـــا الـــدهر مـــذيق الكـــروب

نعيمـــــه رهـــــن بكــــف الخطـــــوب

ولــــو دری الهـــم الــــذی لم يجـــئ

دنيـــا الأســـى لاختـــار دار الغيـــوب

صـــبت علينـــا وابـــلات الــــبلاء

كأننـــا أعـــداء هـــذا القضـــاء

بينمـــا تـــرى الأبريـــق والكـــأس قـــد

تبـــادلا التقبيـــل حـــول الـــدماء

تفـــتح النـــوار صـــب المـــدام

وهاتهـــا مـــن قبـــل ســـطو الـــردى

في مجلـــس ضـــم الطلـــى والغـــرام

حــــار مـــا بــــين كفـــر وديـــن

وأمعنــــوا في الشـــك أو في الـــيقين

وســــوف يــــدعوهم منـــادي الــــردى

يقـــول لـــيس الحـــق مـــا تســـلكون

نصـــبت في الــــدنيا شـــراك الهـــوى

وقلــــت أجـــزي كـــل قلـــب غـــوى

أتنصــــــب الفـــــخ لصــــــيدٍ وإن

وقعــــت فيـــه قلــــت : عــــاصٍ هـــوى

أنــــا الـــــذى أبـــدعت مـــن قـــدرتك

فعشــــت أرعــــى في حمــــى نعمتــــك

دعـــــــني إلى الآثـــــــام حتـــــــى أرى

كيـــــف يـــــذوب الأثـــــم في رحمتـــــك

إن تفصـــــل القطـــــرة مـــــن بحرهـــــا

ففـــــي مـــــداه منتهـــــى أمرهـــــا

تقاريـــــت يـــــا رب مـــــا بيننـــــا

مســـــافة البعـــــد علـــــى قـــــدرها

وإنمـــــا الـــــدنيا خيـــــال يـــــزول

وأمرنـــــا فيهـــــا حـــــديث يطـــــول

مشـــــرقها بحـــــر بعيـــــد المـــــدى

وفي مـــــداه ســـــيكون الأفـــــول

جهلــــت يـــا نفســـــي ســــر الوجـــود

وغبــــت في غـــور القضـــــاء البعيــــد

فصـــــوري مــــــن نشــــوتي جنـــــة

فربمـــــــا أحـــــــرم دار الخلـــــــود

يـــا ورد أشـــبهت خـــدود الحســـان

ويـــا طلــى حاكيــت ذوب الجمـــان

وأنــــت يـــا حظـــي تنكـــرت لـــي

وكنــــت مــــن قبــــل الأخ المســـتعان

صـــب مـــن الإبريـــق صـــافي الـــدماء

واشـــرب وهـــات الكـــأس ذات النقـــاء

فلـــيس بـــين النـــاس مـــن ينطـــوي

علـــى الـــذي في صـــدرها مـــن صـــفاء

أولى بـــك العشـــق وحســـو الشـــراب

وحنـــــة النـــــاي ونـــــوح الريـــــاب

فـــــأطلق الــــــنفس ولا تنصـــــل

بزخـــرف الـــدنيا الوشـــيك الـــذهاب

لا تشـــغل البـــال بـــأمر القـــدر

واسمـــع حـــديثي يـــا قصـــير النظـــر

تـــنح واجلـــس قانعـــاً وادعـــاً

وأنظـــر إلى لعـــب القضـــاء بالبشـــر

يـــا قلـــب إن ألقيـــت ثـــوب العنــــاء

غـــدوت روحـــــاً طـــاهراً في الســـــماء

مقامـــــك العـــــرش تـــــرى حطــــة

أنـــــك في الأرض أطلـــــت البقـــــاء

إن الـــــذى يـــــذبل زهـــــر الربيــــع

ينثـــــر أوراق وجـــــودي الجميــــع

والهـــم مثـــل الســـم ترياقـــه

الخمـــر فاشـــرب قـــدر مـــا تســـتطيع

زجاجـــة الخمـــر ونصـــف الرغيـــف

ومـــا حـــوى ديـــوان شـــعر طريـــف

أحب لي إن كنت لي مؤنساً

في بلقع من كل ملك منيف

أتسمع الديك أطال الصياح

وقد بدا في الأفق نور الصباح

ما صاح إلا نادباً ليلة

ولت من العمر السريع الرواح

علام تشقى في سبيل الألم

ما دمت تدرى أنك ابن العدم

الدهر لا تجري مقاديره

بأمرنا فارض بما حكم

تحمـــــل الــــداء كــــبير الرجــــاء

أنـــــك يومـــــاً ســـــتنال الشـــــفاء

واشـــكر علـــى الفقـــر الـــذى إن يـــرد

أصـــــبحت موفـــــور الغنـــــى والثـــــراء

ليتـــــك يـــــا ربـــــي تبيـــــد الوجـــــود

وتخلـــــق الأكـــــوان خلقـــــاً جديـــــد

فتغفـــــل اسمـــــي أو تزيـــــد الـــــذي

قـــــدرت لـــــي في الـــــرزق بـــــين العبيـــــد

وصـــــلتني بـــــالنفس منـــــذ القـــــدم

فكيـــــف تفـــــرى شملنـــــا الملتـــــئم

وكنت ترعاني فماذا دعا

إلى إطراحي للأسى والألم

هات الطلى فالنفس عما قليل

توشك من فرط الأسى أن تسيل

عساى أسنى الهم في نشوتي

من بعد رشفي كأسها السلسبيل

يا سقي الخمر أفق هاتها

ثم اسقني سائل ياقوتها

فإنها تبعث من روحها

نفسي وتحيي ميت لذاتها

صـــب مـــن الأبريـــق صـــا في الـــدماء

واشـــرب وهـــات الكـــأس ذات النقـــاء

فلـــيس بـــين النـــاس مـــن ينطـــوي

علـــى الـــذي في صـــدرها مـــن صـــفاء

أيـــن طهـــور الـــنفس عـــف الـــيمين

وكيـــف كانـــت عيشـــة الصـــالحين

إن كنـــت لا تغفـــر ذنـــبي فمـــا

فضـــلك يـــا ربـــي علـــى العـــالمين

أبـــدعت فينـــا بينـــات العـــبر

وصـــغتنا يـــا رب شـــتى الصـــور

فهـــل أطيـــق اليـــوم محـــو الـــذي

تركتـــــه في خلقـــتي مـــن أثـــر

طبـــــائع الأنفـــــس ركبتهـــــا

فكيـــف تجـــزى أنفســـاً صـــغتها

وكيـــف تفنـــى كـــاملاً أو تـــرى

نقصـــاً بـــنفس أنـــت صـــورتها

تخفـــي عـــن النـــاس ســـنا طلعتـــك

وكـــل مـــا في الكـــون مـــن صـــنعتك

فأنـــت مجـــلاه وأنـــت الـــذى

تـــرى بـــديع الصـــنع في آيتـــك

يـــا رب مهـــد لـــي ســـبيل الرشـــاد

واكتـــب لـــي الراحـــة بعـــد الجهـــاد

وأحـــي في نفســـي المنـــى مثلمـــا

يحيـــي مـــوات الأرض صـــوب العهـــاد

لـــن يرجـــع المقـــدار فيمـــا حكـــم

وحملـــك الهـــم يزيـــد الألم

ولـــو حزنـــت العمـــر لـــن ينمحـــي

مـــا خطـــه في اللـــوح مـــر القلـــم

ولى الـــدجى قـــم هـــات كـــأس الشـــراب

كأنمـــا اليـــاقوت فيهـــا مـــذاب

واحـــرق مـــن العـــود بخـــورا وخـــذ

مـــن غصـــنه المعطـــار واصـــنع ربـــاب

الخمـــــر توليـــــك نعـــــيم الخلـــــود

ولـــــذة الـــــدنيا وأنـــــس الوجـــــود

تحـــــرق مثـــــل النـــــار لكنهـــــا

تجعـــــل نـــــار الحـــــزن مـــــاء بـــــرود

عيشـــيٌ مـــن غـــير الطلـــى مســـتحيل

فإنهـــــا تشـــــفي فـــــؤادي العليـــــل

مـــــا أعـــــذب الســـــاقي إذ قـــــال لـــــي

تنـــــاول الكـــــأس ورأســـــي يميـــــل

أولى بهـــــذا القلـــــب أن يخفـــــقَ

وفي ضـــــرام الحـــــب أن يحرقـــــا

مـــا أضـــيع اليـــوم الـــذى مـــر بـــي

مـــــن غـــــير أن أهـــــوى وأن أعشـــــقا

ســـــارع إلى اللـــــذات قبـــــل المنـــــون

فـــــالعمر يطويـــــه مـــــرور الســـــنين

ولســـــت كالأشـــــجار إن قلمـــــت

فروعهـــــا عـــــادت رطـــــاب الغصـــــون

إن الألى ذاقـــــوا حيـــــاة الرغـــــد

وأنجـــــز الـــــدهر لهـــــم مـــــا وعـــــد

قـــد عصـــف المـــوت بهـــم فـــانطووا

واحتضـــــنوا تحــــت تــــراب الأبـــــد

نفســي خلــت مــن أنــس تلــك الصــحاب

لمـــا غـــدوا ثـــاوين تحــــت الـــتراب

في مجلـــس العمــــر شــــربنا الطلـــى

فلـــم يفـــق منـــا صـــريع الشـــراب

ولســـت مهمـــا عشـــت أخشـــى العـــدم

وانمـــــا أخشـــــى حيـــــاة الألم

أعــــــارني الله حيــــــاتي ومــــــن

حقوقـــه اســـترداد هـــذي النســـم

قـــالوا امتنـــع عـــن شـــرب بنـــت الكـــروم

فإنهـــــا تـــــورث نـــــار الجحـــــيم

ولـــــــذتي في شـــــــربها ســـــــاعة

تعـــــدل في عـــــيني جنـــــان النعـــــيم

إن دارت الكـــــأس ولـــــذ الشـــــراب

فكـــن راضـــي الـــنفس بـــين الصـــحاب

واشـــرب فمـــا يجـــديك هجـــر الطلـــى

إن كـــــان مقـــــدورا علـــــيم العـــــذاب

شـــــيئان في الـــــدنيا همـــــا أفضـــــل

في كـــــل مـــــا تنـــــوي ومـــــا تعمـــــل

لا تتخـــــذ كــــل الــــورى صـــــاحباً

ولا تنـــل مـــن كــــل مـــا يؤكــــل

لــــو كــــان لـــــي قـــــدرة رب مجيـــــد

خلقـــت هـــذا الكـــون خلقـــاً جديـــد

يكــــون فيــــه غــــير دنيــــا الأســـــى

دنيـــا يعـــيش الحـــر فيهـــا ســـعيد

إذا بلغـــــت المجــــد قــــالوا زنـــــيم

وان لزمـــــت الـــــدار قـــــالوا لئــــيم

فجانـــــب النـــــاس ولا تلـــــتمس

معرفـــــة تـــــورث حمـــــل الهمــــوم

خـــير لـــي العشـــق وكـــأس المـــدام

مـــن ادّعـــاء الزهـــد والاحتشـــام

لـــو كانـــت النـــار لمثلـــي خلـــت

جنـــات عـــدن مـــن جميـــع الأنـــام

عبـــدك عـــاص أيـــن منـــك الرضـــاء

وقلبــــه داج فـــــأين الضــــياء

إن كانــــت الجنــــة مقصــــورة

علـــى المطـــيعين فـــأين العطـــاء

أهـــل الحجـــا والفضـــل هـــدى العقـــول

قـــد حـــاولوا فهـــم القضـــاء الجليـــل

فحـــــــدثونا بعــــــض أوهـــــــامهم

ثـــم احتـــواهم ليـــل نـــوم طويـــل

يـــا عـــالم الأســـرار علـــم الـــيقين

يـــا كاشـــف الضـــر عـــن البائســـين

يـــــا قابـــــل الأعــــــذار فئنــــا الى

ظلــــك فاقبـــل توبــــة التــــائبين

الوثائق التاريخية
التي وردت فيها أخبار الخيام

إن أقدم الكتب التاريخية التي ورد فيها ذكر عمر الخيام، هو كتاب "جهار مقاله" تأليف النظامي العروضي السمرقندي الذي تتلمذ لعمر الخيام وزار قبره سنة "530هـ" بعد أن عرف بموته. ومن هذا الكتاب نعرف أن عمر الخيام زار مدينة بلخ سنة "506هـ" ونزل في قصر أبي سعيد جرة، وكان النظامي في خدمة هذا الأمير.. فسمع أثناء مجلس السمر عمر الخيام يقول:

سيكون قبري في موضع تؤرجه ريح الشمال بشذى الورود كل ربيع.؟

فبدا لي هذا القول مستحيلا، وكنت أعرف أن مثله لا يقول جزافا. فلما بلغت نيسابور سنة ثلاثين وخمسمائة، وقد خلت أربع سنوات على ايداع هذا الرجل العظيم الثرى (8)، وصارت الدنيا يتيمة من بعده، وكان عليّ حق الاستاذية، ذهبت لزيارة قبره يوم الجمعة، وقد استصبحت رجلا يدلني على قبره، فأخرجني إلى مقبرة الحيرة، وسرت يسارا فرأيت قبره أسفل جدار بستان قد أطلت منه أشجار الكمثرى والمشمش، وقد تناثر على القبر كثير من الزهر حتى غطاه. فجالت بخاطري تلك الحكاية التي كنت سمعتها عنه في بلخ فغلبني البكاء. إذ لم أر له نظيراً في الدنيا وأقطار الربع المسكون أسكنه اللّٰه الجنات بمنه وكرمه(9).

وفي موضع آخر من كتاب "جهار مقاله" يقول المؤلف:

في شتاء ثمان وخمسمائة "1114م" في مدينة مرو أرسل السلطان رسولا إلى الوزير الكبير صدر الدين بن مظفر قائلاً:

قل للإمام عمر يختار بضعة أيام لا يكون فيها ثلج ولا مطر حتى نخرج للصيد! وكان الإمام عمر الخيام في صحبة الوزير نازلا في قصره، فأرسل إليه رسولا ودعاه وسرد عليه الأمر، فذهب الخيام وأعمل جهده يومين واختار وقتا حسنا، ثم ذهب بنفسه فأركب السلطان حسب اختياره. فلما ركب السلطان وسار في طريقه قليلا تجمعت السحب وهب الريح وهطل الثلج وانتشر الضباب، وضحك الركب.. وهمّ السلطان بأن يعود فقال الخيام: ليطمئن قلب السلطان فان المطر سينقطع لساعته، ولم ينزل في هذه الأيام الخمسة ولا رأى أحد سحابا!؟

فأحكام النجوم مع أنها صناعة معروفة، لا يجوز الاعتماد عليها. كما أنه لا ينبغي للمنجم أن يمعن فيها وعليه أن يحيل كل حكم يرى على القضاء(10).

ومن المؤرخين القدامى الذين ذكروه الشهرزودي - شمس الدين محمد بن محمود - فقد ذكر الخيام في كتابه "نزهة الأرواح وروضة المشتاق" الذي ألفه في القرن السابع الهجري فقال:

عمر الخيام نيسابوري الاثار والميلاد. كان تلو أبي علي بن سينا في أجزاء الحكمة، إلا أنه كا سيء الخلق ضيق العطن. تأمل كتابا بأصبهان سبع مرات وحفظه وعاد إلى نيسابور، فأملاه فقوبل بنسخته الأصلية فلم يوجد بينهما تفوت!؟

ودخل على السلطان سنجر وهو صبي وقد أصابه جدري فلما خرج سأله الوزير كيف داويته؟ وبأي شيء عالجته؟ فقال عمر: الصبي مخوف عليه فرفع خادم حبشي ذلك إلى السلطان فلما شفي الطفل أبغضه السلطان.

ويضيف - الشهرزدوي - أن للخيام قصائد حسنة بالفارسية والعربية منها:

تـــدين لـــي الـــدنيا بـــل الســـبعة العلـــى

بـــل الأفـــق الأعلـــى إذا جـــاش خـــاطري

أصـــوم عـــن الفحشـــاء جهـــرا وخفيـــة

عفـــاف وافطـــاري بتقـــديس فـــاطري

وكـــم عصـــبة ضـــلت عـــن الحـــق فاهتـــدت

بطـــرق الهـــدى مـــن فيضـــي التقـــاطر

فـــان صـــراطي المســـتقيم بصـــائر

تصـــبن علـــى وادي العمـــى كالقنـــاطر

وقال:

رجيـــت دهـــراً طـــويلا في التمـــاس أخ

يرعـــى ودادي اذا ذو خلـــة خانـــا

فكـــم الفـــت وكـــم آخيـــت غـــير أخ

وكـــم تبـــدلت بـــالاخوان اخوانـــا

وقلـــت للـــنفس لمـــا عـــزّ مطلبهـــا

بـــالله لا تـــألفي مـــا عشـــت انســـانا

وقد جاء ذكره في كتاب "كامل التاريخ" لابن الأثير بما لفظه:

أنه كان بين المنجمين الذين دعاهم السلطان ملكشاه لتنظيم التقويم وتعيين يوم النيروز، وخرج عليه من الأموال شيء عظيم، وبقي الراصد دائرا إلى أن مات السلطان سنة "485هـ" فبطل بعد موته.

وقال عنه البيهقي في كتابه "حكماء الإسلام" ما نصه:

دخل عمر الخيام يوما على شهاب الإسلام الوزير وهو عبد الرزاق بن الفقيه، وكان عنده أبو الحسن الغزال، وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية ـ فقال شهاب الإسلام ـ: على الخبير سقطنا فسئل الإمام عمر الخيام عن ذلك، فذكر وجوه اختلاف القراء، وعلل كل واحد وذكر الشواذ وفضل وجها واحدا على سائر الوجوه فقال الغزال: كثر الله في العلماء مثلك. اجعلني من أدمة أهلك وارض عني فاني ما ظننت ان واحداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء.

وممن ذكره أيضا القفطي في كتابه "أخبار الحكماء" قائلاً: لما قدح أهل زمانه في دينه، وأظهروا ما أسره من مكنونه خشى على دمه، وأمسك من عنان لسانه وقلمه. وحج إلى "مكة المكرمة" متاقاة لاتقية.. وأبدى أسرارا من السرار غير نقية.. ورجع من حجه إلى بلده يروح إلى محل العبادة ويغدو ويكتم أسراره، ولا بد أن تبدو وكان عديم القرين في علم النجوم والحكمة.

وقال عنه القزويني في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد": بأن عمر الخيام نزل بلدا فوجد أهلها شاكين من كثرة الطير، ووقوع ذرقها وتنجس ثيابهم بها. فاتخذ تمثال الطير من الطين، ونصبه على شرفة من شرافات الموضع فانقطع الطير عنه.

وحكى أن أحد الفقهاء كان يمشي إليه كل يوم قبل طلوع الشمس، ويقرأ عليه درسا من الحكمة، فإذا حضر عند الناس ذكره بالسوء؟ فأمر

عمر الخيام بإحضار جمع من الطبالين والبوقيين وجباهم في داره فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس أمرهم بدق الطبول والنفخ في البوقات، فجاءه الناس من كل صوب فقال عمر:

يا أهل نيسابور هذا عالمكم يأتيني كل يوم في هذا الوقت ويأخذ مني العلم، ويذكرني عندكم بما تعلمون، فان كنت أنا كما يقول فلاي شيء يأخذ علمي؟ والا فلأي شيء يذكرني الأستاذ بسوء(11)؟!

وممن ذكره أيضاً المؤرخ حمد الله المستوفي القزويني الذي قال عنه: عمر الخيام بن ابراهيم كان متضلعا من أكثر العلوم لا سيما علم النجوم وبرز فيه على من كان في عصره، وكل من ندماء السلطان ملكشاه السلجوقي. له رسائل جيدة وشعر بديع...

يظهر لدينا مما أورده المؤرخون، أن عمر الخيام كان من كبار العلماء، وكانت له مكانة عظيمة لدى الحكماء، وعند العلماء في عصره وملوك زمانه، فكانوا يعدونه في الحكمة ثاني ابن سينا ويصفونه بأنه أعلم أهل زمانه في علم الفلك والنجوم، وأنه الإمام وحجة الحق.

وأنه صاحب التقويم الفلكي الذي ظلت ايران تتبعه رسميا وشعبيا، في حساب السنة الإدارية التي إلى مطلع العام الهجري "1399". وهو أدق من التقويم "الغريغوري" الذي يسير عليه اليوم العلم الغربي كله وبعض أجزاء المشرق. على أن الخطأ في تقويم الخيام لا يعدو يوما في كل خمسة آلاف سنة بينما يبلغ في التقويم "الغريغوري" يوما كل ثلاثين وثلاثمائة وثلاثة آلاف سنة (12).

كذلك كان ـ الخيام ـ سريع الحفظ قوي الذاكرة، متضلعا من الفلسفة والطب والرياضيات، والحكمة والعرفان وبالقراءات.. عالما بالفقه واللغة والتواريخ.

يجيد نظم الشعر باللغتين العربية والفارسية. عاش حياته كما أرادها في زهد وتقشف.. على الرغم من أنه كان يتردد على مجالس الملوك والأمراء.

يقول أحد مترجميه الغربيين:

أن الخيام لسعة علمه واطلاعه، كان مسلما طليق الفكر من قيود التقاليد، وشديد الجرأة على المجاهرة باعتقاده المطابق للمعقول ولو جاء مخالفا للمنقول.

عقيدة الخيام وفلسفته

ظن بعض الباحثين أن عمر الخيام كان يؤمن بتناسخ الأرواح، مستندين في زعمهم إلى حكاية طريفة يقول:

أنه لما كان أستاذا في مدرسة نيسابور، شاهد مع طلابه حمارا كان ينقل الحجارة لترميم مدرسة متصدعة، حرن ووقف بالباب مترددا بالدخول فتبسم الخيام ضاحكا! واقترب من الحمار وهمس في أذنه هذه الرباعية ارتجالا:

أيها الذاهب، ها قد عدت حيوانا أضلا

ويك ضاع اسمك من بين الأسامي واضمحلا

ان أظفارك صارت حافرا مجتمعا

وغدت لحيتك الشمطاء في عجزك ذيلا (13)

فدخل الحمار الحرن إلى المدرسة بهدوء تام.. فلما سئل الخيام عن سر ذلك قال لهم:

ان هذا الحمار كان أستاذا في هذه المدرسة، فلما رحل عن هذا العالم تقمصت روحه جسد هذا الحمار! فرفض أن يدخل إلى المدرسة على هيئة حمار.. غير أنه لما وجد أصحابه قد عرفوه.. لم يجد مفرا من الدخول.

هذه الحكاية التي وردت في "التاريخ الالفي" - لأحمد بن نصر الله الملقب بأكبر شاه الهندي - هي لا شك من الحكايات الكاذبة الملفقة، التي يقصد منها الدعابة والطرافة أو السخرية من الأساتذة.. ومما يؤيد صحة هذا الرأي

أن الوثائق والمصادر التاريخية، لم تتحدث أن الخيام امتهن التدريس في إحدى مدارس نيسابور.

كما أن الخيام أنكر البعث.. إذ صرح الخيام في العديد من رباعياته، بأن فكرة البعث وعودة الأرواح إلى الأجسام وهم وخيال لا صحة له:

بادر فسوف تعود أدراج الفنا

وستترك الجثمان منك الروح

واشرب وعش جذلا فلست بعالم

من أين جئت وأين بعد تروج (14)

أو كقوله:

ما شهد النار والجنان فتى

أي امرئ من هناك قد جاء

لم نر مما نرجو ونحذره

الا صفات تحكى وأسماء (15)

وانما تنبئ رباعيات الخيام أنه كان يؤمن "بتناسخ الأجساد - ان صح التعبير - تستحيل ترابا بعد موت أصحابها، ثم تكون أجسادا لسواهم، ثم تعود ترابا، ثم تصير أجساداً (16)

فـــــامش الهـــــوينى ان هـــــذا الثـــــرى

مـــــن أعـــــين ســـــاحرة الاحـــــورار (17)

وكقوله:

كل ذرات هذه الأرض كانت

أوجها كالشموس ذات بهاء

أجل عن وجهك الغبار برفق

فهو خد لكاعب حسناء (18)

صرح الخيام في رباعياته بصورة واضحة لا غموض فيها ولا لبس باعتقاده في الجبر. وكان مؤمنا بأن الإنسان مجبور في أفعاله، وأنه لا اختيار له ولا قدرة، أنه كالريشة المعلقة في الهواء، إذا تحرك تحركت وغذا سكن سكنت. وهذا المذهب هو مذهب الجبر، وصاحبه جهم بن صفوان، وجهم هذا كنيته "أبو محرز" وكان مولى لبنيى راسب من الازد.

وينسبه المؤرخون إلى "سمرقند" وأخرى إلى "ترمذ".

اشتهر بفصاحته وبلاغته، لذلك اتخذه الحارث بن سريج التيمي أثناء ولايته على خراسان كاتبا له وداعيا. غير أن الأمر لم يستقر طويلا لجهم، فقد نشب خلاف بين الحارث ونصر بن سيار الذي أرسل سلم بن أحوز لقتاله، فانهزم الحارث ووقع الجهم أسيرا في يد سلم فقتله في عام "745هـم" وكان قتله له سياسيا لا دينيا (19).. لأنه حين أراد قتله طلب منه الجهم العفو عنه، فقال له سلم:

"والله لو كنت في بطني شققتها حتى أقتلك، والله لا يقوم علينا من اليمامة أكثر مما قمت (20)".

لم تصلنا عن آراء جهم إلا معلومات قليلة متفرقة في كتب الفرق. ولا تثير هذه الكتب إلى أن جهما ألف كتابا في الموضوعات التي خاضها، ما عدا الجيلاني الذي يذكر أن لجهم تصانيف، دون أن يبين التصانيف

وموضوعاتها، وهل استفاد الجيلاتي نفسه في النقل عنها؟ أو فيما إذا كانت موجودة في زمنه؟ وهل أن من بحث جهما ومنهم الجيلاني، اعتمدوا على كتبه وتصانيفه. ولم يصلنا كتاب من تأليف تلاميذه ومؤيديه، والكتب التي ذكرت آراءه. كانت جميعها كتب نقد ورد، بالإضافة إلى ذلك أنها خلطت بين الجهمية والمعتزلة، ولذلك تصعب الاستفادة منها تمييز آراء جهم الخاصة(21).

هذا المذهب يهدف إلى التخلص من التكاليف، وإلغاء العقاب والثواب، وإسقاط المسؤولية بجميع أنواعها عن الإنسان ، وإلغاء دور الإرادة في صنع أفعال الإنسان، لأن هذه الأفعال كتبها الله على الإنسان سواء كانت خيراً أو شراً (22) من رباعيته التي تضمنت عقيدة الجبر:

"أنا أشرب الخمر، ويشربها كل من هو أهل لها مثلي فان شربي لها ليس مستبعداً في نظر العقل، لأن الله كان يعلم منذ الأزل بأني سأشربها، فأنا لم أشربها فعلمه يكون جهلا ـ خطأ ـ" (23).

وقال أيضاً:

"تضع الاشراك في ألف مكان في سبيلي، وتقول إذا وقعت فاني أهلكك، لا تخلو ذرة في العالم من سلطانك، أنت تقدر على الحكم، وأنت تنعتني بالعاصي (24)".

وما قاه:

قد كان يدري الله كل فعالنا

من يوم صور طيننا وبرانا

لم نرتكب ذنبا بدون قضائه

فاذن لماذا ندخل النيرانا (25).؟

وقد اعترف الخيام نفسه بإقراره بمذهب الجبر، ولكن بصورة معتدلة لأنه خشى من البطش به.. فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل كان إحداها:

أي الفريقين أقرب إلى الصواب الجبرية أم القدرية الناسبون إلى العدد خلق أفعاله؟ فقال عمر:

"ولعل الجبري أقرب إلى الحق في بادئ الرأي وظاهر النظر من غير أن يتلجلج في هذيانه ويتغلغل في خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جدا".

كذلك يستشف من رباعياته أنه كان قلقا تخاصره الهواجس السوداء.. والهموم الذاتية.. والقضايا الإنسانية الكبرى، يرتاب في كل شيء مما يدفعنا للقول أنه كان "لا أدريا".

واللاأدرية مذهب فلسفي يقوم على الاعتراف بعجز العقل البشري عن إدراك المجردات وفهم جوهرها وخواصها، وبعجز العلم اللدني عن الوصول إلى فهم هذه المجردات. سلا سيما، يتعلق منها بالماورئيات، فكل محاولات العقل في الكشف عن أسرار العالم الثاني وعما يخرج عن نطاق الطبيعي هو عبث في عبث وضرب من المحال. وكان الخيام لا أدريا يدين بهذا المذهب وقد اتهم العقل والعلم في كثير من رباعياته بعجزهما عن إدراك سر الحياة (26).

وهكذا نجد الخيام حائرا معترفا بالجهل.. ومما قاله:

أتى بي لهذا الكون مضطربا فلم

تزد لي إلا حيرة وتعجب

وعدت على كره ولم أدر أنني

لماذا أتيت الكون أو فيم أذهب (27)

وكقوله:

ما أفاد الفلك الدوار ربحا من حياتي!

لا ولا زاد جمالا أو جلالا بوفاتي

أنا لم أسمع مدى عمري في دار الشتات

ما هو المقصود فيها من حياتي ومماتي (28)

هذه اللإرادية قادت عمر الخيام إلى التشاؤم. فالدنيا - برأيه - هي دار للمصائب والكوارث والفجائع. لذلك كره الحياة، ولم يجد فائدة تذكر من أن يحيا الإنسان - 100 - سنة أو -30- سنة لأن الموت سيكون في النهاية بمثابة مكافأة الحياة.

ولعل من أسباب كراهيته للدنيا، أن نظام الحياة كان مختلا في عصره، فالحروب والثورات والفتن دائرة هنا وهناك.. والفقراء يزدادون في مطلع كل فجر. والارهاب يخيم على الحياة العامة. أما العلاقات السائدة فهي لا تحقق السعادة والهناء للغالبية العظمى من الجماهير. لقد حلم - الخيام - أن تكون له قدرة خارقة تسمح له بهدم الكوكب الأرضي ليبني عالماً جديداً يحقق فيه الأفراد طموحاتهم المشروعة:

آه لو كنت على الافلاك ربا في سمائي

لمحوت الآن هذا الفلك الضخم البناء

ولأنشئت بنفسي من جديد فلكاً

يدرك الأحرار فيها ما اشتهوا دون عناء.

كما دعا الخيام الناس، ألا يفكروا بالأمس الراحل.. ولا بالغد القادم.. بل عليهم أن يعيشوا لحظتهم الحاضرة كما يريدون، لأن الموت يطاردهم في كل خطوة يخطونها، إننا إلى فناء سريع في تطور هذا العالم. فخذ حظك من

متاع الحياة، ولا تبتئس، ولا تبال بشيء ولا تضيع فرصة تلوح لك. حياتك كالربيع يزدهر ثم يذبل وشيكاً، ها قد زين الربيع وجه الأرض وغنى البلبل للورد فخذ مزهرك وكأسك وشارك الورد في بهجته والبلبل في غنائه.

معان قليلة يصورها الخيام صوراً شتى، ويعرضها في ألوان كثيرة. كالزهر تختلف أشكاله وتفترق ألوانه، ولكنه زهر تعدده الصور ويوحده المعنى (29)

سمعت صوتا هاتفا في السحر

نادى من الحان: غفاه البشر

هبوا املأوا كاس الطلى قبل أن

تفعم كاس العمر كف القدر (30)

أحس في نفسي دبيب الفناء

ولم أصب في العيش إلا الشقاء

يا حسرتا أن حان حيني ولم

يتح لفكري حل لغز القضاء (31)

مؤلفات الخيام

ذكر المؤرخون في الشرق والغرب، أن لعمر الخيام مجموعة من الآثار والمؤلفات هي:

رسالة في الجبر والمقابلة "بالعربية". وقد قام المستشرق (وبكيه) بطبعها مع ترجمتها سنة "1851" في باريس. قال المستشرق (دروكلمن) عنه:

"كانت دراساته في علم الجبر أول محاولة ناجحة لحل المعادلات التكعيبية، وقد ميز منها ثلاث عشرة معادلة، ولم يحلها حلاً جبرياً فحسب، بل حلاً هندسياً أيضاً (32)".

- رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات كتاب اقليدس.
- الزيج الملكشاهي وهو الزيج الجلالي.
- رسالة في الطبيعيات كتبها الخيام بالفارسية.
- رسالة في الجواب عن ثلاث مسائل.
- رسالة في الكون والتكليف.
- رسالة في الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما.
- رسالة في لوازم الامكنة. بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والاقاليم.
- رسالة في جواب القاضي أبي نصر محمد بن عبد الرحيم النسوي. وهي منطوية على الباحث عن حكمة الله تعالى في خلق العالم وتكليف الناس بالعبادات.

- نوروزنامة. وهو كتاب جليل بحث فيه عن رسوم وأعياد الايرانيين، ولا سيما عن تاريخ وأداب واحتفالات يوم النوروز، وذكر تراجم بعض ملوكهم، والرسالة قوية الانشاء تدل على تضلع الخيام من الإيرانية، وقد نشرها الاديب الايراني مجتبى مينوي (33).
- ديوان رباعياته.. موضوع بحثنا.

حول رباعيات الخيّام

تنسب إلى الخيام في مختلف النسخ الرائجة حوالي خمسة آلاف رباعية. غير أن العدد الصحيح والمتفق عليه لا يتخاوز الـ 120 ـ رباعية؟

وأسباب هذا النحل تعود إلى أن المتزمتين كانوا يدسون عليه كثيراً من الرباعيات التي لا تكترث بالفضيلة ولا بالأخلاق بهدف أباحه دمه. فقد كانت بين الخيام ومعاصريه من الصوفية حرب شعواء، فكان هو ينكر عليهم عمايتهم وضلالهم وكانوا هم يتهمونه بالزندقة. فلاثارة الفتنة عليه من العوام زيفوا على لسانه رباعيات لم يقلها. ومع مرور الزمن تكاثرت عليه هذه الرباعيات المزيفة واختلطت بالرباعيات الحقيقة، مثال ذلك هذه الرباعية القبيحة:

يزعم اللوام أني فاسق حلف الخنا

وأنا المظلوم فانظر للتطني ما جنى

أنا يا أهل التقى لم أرتكب في الشراع اثما

سوى الغدر واللواطة والزنا (34)

أو كهذه الرباعية التي أنشدها ذات يوم على قمة جبل من جبال نيسابور ـ كما تقول هذه الأسطورة ـ وكان معه ابريق خمر، وبينما كان يحسو الكؤوس هبت ريح شديدة حطمت ابريقه وكأسه، فانسكب الخمر على الأرض، فتألم الخيام وهاجت ثائرته وغضب غضبا شديدا فخاطب اللّه ـ عز وجل ـ بهذه الرباعية:

"حطمت يا الهي ابريق خمري وأوصدت باب الانس في وجهي. سكبت على الارض خمرتي الوردية. فالتراب لفمي فهل أنت سكران يا ربي (35)".

ولما أتم انشاد الرباعية، اسود وجهه على الفور حتى لكأنه فحمة سوداء!! ففزعت ابنته وقالت له يا أبتاه قد اسود وجهك. وناولته مرآة فلما نظر إلى وجهه في المرآة والفاه أسود فاحما، بكى بكاء شديدا، وندم على ما فرط في جنب الله، وعلم أن الله قد غضب عليه وعاقبه بهذا العقاب الشديد، فاستغفر الله هفوة اللسان في هذه الرباعية:

الهي قل لي من خلا من خطيئة

وكيف ترى عاش البريء من الذنب

إذا كنت تجزي الذنب مني بمثله

فما الفرق ما بيني وبينك يا ربي (36)

ولما انتهى من انشاد هذه الرباعية عاد وجهه كما كان أولا.

كما وأن النساخ كانوا يتقاضون أجرة الخط عن كل رباعية على حدة، فكان همهم أن يزيدوها ويكثروها طمعا بزيادة الأجر. بخاصة وأن الأشخاص الذين كانوا يحصلون عليها، كانوا امراء زمانهم وملوك فارس وسلاطينها منذ عهد الخيام حتى العصور المتأخرة (37).

كذلك اختلطت رباعيات الخيام، برباعيات غيره من الشعراء الايرانيين، كجلال الدين، وسعدي وحافظ الشيرازيين وغيرهم من الشعراء... علما أنه كان للمجان رباعياتهم التي يتغنون بها في الحانات، وكان للمتصوفة رباعياتهم التي ينشدونها في مجالسهم الخاصة وحلقات الذكر.. ويلاحظ في موضوع الرباعيات أن طائفة من المصلحين قد تعمدوا أن يعزوا إلى الخيام، من الرباعيات التي تحث على التقوى.. وطاعة الله .. والتوبة .. ما لا علم له به، بهدف تحقيق القول التالي:

"اذكروا محاسن موتاكم"!؟

والجدير بالذكر أن رواة الأدب العربي القدامى، كانوا يشيعون بأن الشعراء الذين عرف عنهم بأنهم أمضوا حياتهم بالمجون واللهو، أو الخروج عن الشريعة الإسلامية، قد تابوا لأسباب مجهولة لم تطرقوا إليها؟
فعمر بن أبي بيعة الذي قال عن نفسه:

"أنا موكل بالجمال أتبعه أينما كان". صار ـ حسب زعمهم ـ رجلا فاضلا حين أوشكت الشيخوخة أن تداهمه؟

أما الحسن بن هانئ الملقب "بأبي نواس"، الذي عاش حياة تحوم حولها الشبهات، قد صار زاهدا في أواخر أيام حياته.. واعتكف في منزله طالبا الرحمة.. والمغفرة من اللّه .. هذه الظاهرة انطبقت بدورها على عمر الخيام.

لا شك أن شعر الشاعر هو انعكاس حي لحياته ومرآة صادقة عنه. تكشف أعماق نفسه التي تشبه الخلجان العميقة وتظهر لنا رغباته الدفينة وأحلامه السرية. لذا فان الفصل بين حياة الشاعر وشعره سيؤدي إلى إساءة فهم الشاعر. كما أن تطبيق مقاييس الخير والشر التي تعارف عليها الناس على الشعراء والفنانين، بغية المحافظة على سمعتهم ولدء الشبهات عنهم، هو اجحاف بحق الشعراء، لأن فضائل الشعراء أو رذائلهم بعد رحيلهم عن عالمنا، هي وثائق أدبية تفيد في ضوء دراسات علم النفس الحديث بفهم نتاجهم بصورة عميقة (38).

وقف الباحثون حيال ركام ضخم من الرباعيات المتباينة الأغراض، المتناقضة المعاني، موقف الحيرة والتهيب، وحاولوا بثقافتهم وبمنهجهم العلمي، وحسن اطلاعهم على الأدب الفارسي، أن يفرزوا الرباعيات الحقيقة لعمر الخيام، عن رباعيات غيره فكانت النظريات التالية:

نظرية الرباعيات الجوالة:

جاء المستشرق الروسي جوكوفسكي بنظرية الرباعيات الجوالة، حين لحظ أن بعض الرباعيات يجول في دواوين الشعراء الفرس، فافترض أنها منسوبة إلى الخيام. إلا أنه اعترف أن مجرد وجود الرباعية في دواوين بعض الشعراء ليس بالدليل القاطع على أنها لهم دون الخيام، فقد اتضح أن بعض هذه الرباعيات موجودة في نسخ من رباعيات الخيام أقدم عهدا من الشعراء الاخرين الذين وردت في دواوينهم، فكان هذا دليلا على أن بعض رباعيات الخيام قد سافر إلى دوادين الشعراء، كما هاجر بعض رباعياتهم إلى ديوانه..

انظر مثلا إلى هذه الرباعية التي وردت في بعض النسخ من ديوان حافظ الشيرازي:

يالجمشيد وقصر كان فيه يشرب

ولدت فيه ظباء واستكن الثعل

يالبهرام الذي كان يصيد العير عمرا

أرأيت القبر كيف اصطاده لا يرهب

يقول فردريك روزن وهو مصيب:

"أن هذه الرباعية قد تكون للخيام وقد لا تكون، إلا أنها لا يمكن بحال أن تكون لحافظ ذلك الفرق بعيد بين دنيا الشاعرين".

ومهما يكن فان نظرية الرباعيات الجوالة طريقة في البحث سلبية، لم يكن ينتظر منها أن تفضي إلى نتيجة إيجابية (39).

نظرية الرباعيات الموسومة:

وجاء الأستاذ كريستين - مستشرق خيامي دانمركي - بطريقة أخرى. فكان منه أن جمع كل رباعية ورد فيها لقب الخيام، وقال يحتمل أن تكون

أصلية غير دخيلة. ولكن هذه الطريقة وان تكون إيجابية، فإن عدد هذه الرباعيات الموسومة بلقب الهيام لا يتجاوز الاثنتي عشرة. فلو صحت نسبتها إليه كلها لكانت مع ذلك قليلة. على أن الأستاذ كريستنسن يعترف أنها طريقة لا يعول عليها (40).

نظرية الرباعيات المعتمدة:

للمستشرق جوكوفسكي طريقة أخرى إيجابية. ذلك أنه وجد في بعض كتب الأقدمين بضع رباعيات ذكروها للخيام من باب الاستشهاد، فهي أخلق أن تكون من نتائج قريحته، لأن رواتها أقرب إليه عهدا... وقفى الباحثون على أثر جوكوسفكس فجعلوا يضيفون إلى الرباعيات الصحيحة رباعيات جديدة، كلما عثروا على شيء منها في كتاب قديم، حتى وفق الباحث الإيراني فروغي أخيراً إلى جمع ـ 74 ـ رباعية نقلها عن ثمان روايات قديمة مختلفة.. وقد اتخذها فروغي وسواه مثالا يقيسون عليها سائر الرباعيات، فما كان بها شبيها عدوه للخيام، وما كان لها مغايرا عدوه لسواه (41).

ويتساءل الأستاذ عبد الحق فاضل: عن أي المصادر أخذ القدامى هاته الرباعيات الـ ـ74ـ وأُدم كتبهم دون بعد وفاة الخيام بما لا يقل عن قرن من الزمان؟ ويرى أن هذه الرباعيات لا يصح اتخاذها مقياسا دقيقا، ومحكما غير منزه عن الخطأ فانما هي أمثلة استشهد بها بعضهم، أو مختارات انتقاها آخرون وفق أذواقهم، فلم يقصدوا إلى الإحاطة والشمول ولا تحققوا من الاصيل والدخيل. ولعل ثمة جوانب من فلسفة الخيام أو شاعريته لم تعجب منهم أحدا فأهملوها ولم يذكروا منها رباعية واحدة.. وما دام الحدس والذوق هما سندنا في القياس لتمييز صحيح الرباعيات من فاسدها فلا معدى لنا أن نلصق بالخيام كل رباعية تشبهه من رباعيات غيره ما دمنا لا نعرف لها

صاحبا سواه، وأن نجرده من كل رباعية له ما دامت لا تشاكل جمهرة الرباعيات التي سميناها المعتمدة، ولو كنا لا نعرف لها صاحبا سواه.

ومما سبق عرضه نجد أن الرباعيات الحقيقية اختلطت بالمزيفة، وصار التفريق أمرا متعسرا - بل متعذرا - في وقتنا الحاضر، حتى على كبار الأدباء الإيرانيين، والأدباء العرب والمستشرقين.

وفي هذا الشأن يقول العلامة المرحوم محمد الفراتي:

"الرباعيات المحقق نسبتها إلى الخيام، لا تتجاوز عدد أصابع اليدين والتي فيها فلسفة وعمق (34)".

مثال ذلك:

"لا تعرف أنت أسرار الازل ولا أنا، ولا تستطيع أن تقرأ أحرف هذا المعمى ولا أنا، ان مكالمتنا انما هي من وراء الحجاب ولما يسقط الحجاب لا تبقى أنت ولا أنا (43)".

ويرى أبو النصر مبشر الطرادي أن هناك - 40 - رباعية يمكن أن تكون من مقولات الحكيم عمر الخيام لعدم مخالفتها مبداه الحقيقي ومكانته العلمية وعقيدته الاسلامية (44). يذكر منها على سبيل المثال:

"هل تعلم لماذا يصيح الديك السحري وتمت طلوع الصبح يعني أنهم أعلنوا على مرآة الصبح أنه مضت ليلة من العمر وأنت غافل (45)".

"من يملك في الدنيا نصف رغيف - قليل مال يعيش به - وعشا لسكناه، وهو ليس خادما لاحد، ولا مخدوما لاحد، فقل له: عش فرحا سعيدا: لان له دنيا طيبة (46)".

بما أنك تموت مرة واحدة ـ لا مرتين ـ فمت مرة واحدة وما هذا العجز؟ دم ونجاسة وقبضة من غرق وجلد ، افرض كأنها لم تكن. وما هذا الاغتمام "(47).

"هب أن الدنيا جرت بمرادك فما هي النهاية؟ وهب رسالة العمر مقروءة فما هي النهاية؟ فرضت انك بقيت في الدنيا سعيدا ، وافرض أنك عشت فيها مائة سنة أخرى فما النهاية؟ (48)".

بينما يعتقد الأديب التركي الراحل رضا توفيق أن الرباعيات الحقيقية لا تتجاوز المائة!!

السؤال الذي يطرح نفسه الآن ما المقصود بالرباعية؟

اسم الرباعية كان يطلق قديما على الأربعة أشطر، كما في رباعيات الخيام التي يتألف كل منها من بيتين. كما أنها وردت في بحر فارسي دخيل في العربية يسمى بحر "الدوبيت" أي بحر البيتين والرباعية ـ في حد ضاتها ـ هي قطعة مستقلة فيها وحدة في الشكل والمضمون، وهي أعلى أنواع الشعر الفارسي، إذا قالها شاعر له مقدرة وجدارة.

والشاعر العبقري يمهد للغرض الشعري الذي يرمي إليه في السطور الثلاثة الأولى، وفي السطر الرابع يفرغ إلى النتيجة التي مهد لها. كذلك فا بعض الرباعيات مؤلف من أربعة أشطر جميعها على قافية واحدة، والبعض الآخر من أربعة أيضا الاولان والأخير منها على نفس القافية والثالث مستقل تماما (49).

فمثال الضرب الأول:

1. مائيم ومي ومطرب وأين كنج خراب
2. فارغ زاميد رحمت وبيم عذاب

3. جان ودل وجامه دررهن شراب

4. آزاد زخاك وباد واز آتشر وآب

وترجمتها:

1. قد حظينا بالفنا والراح في الدار الخراب

2. وفرغنا من منى الرحمة أو خوف العقاب

3. وسمونا ثم عن ماء ونار وتراب

4. فالكسا والكاس والعقل معا رهن الشراب (50)

ومثال الضرب الثاني:

1. قرآن كه مهين كلام خوانند أورا

2. كه كاه بر دوام خوانند أورا

3. در خط باله آيتي همست مقيم

4. كاندر همه جامدام خوانند أورا

وترجمتها:

1. أما القرآن الذي يسمونه الكلام العلوي المنزل

2. فيقرأونه في الفترات وليس على الدوام

3. وأما الاية المحفورة على حافة الكأس

4. فتلك يقرأونها في كل زمان (51)

وهناك قصة طريفة عن سبب اختراع وزن الرباعي، وردت في "المعجم في معايير أشعار العجم" و"تذكرة الشعراء" وملخصها أن شاعرا، يظنه صاحب المعجم "الرودكي" خرج في يوم عيد إلى بعض التنزهات في مدينة "غزنين"، فمر بصبية يلعبون ضربا من اللعب بالجوز، فوقف يرقبهم. وكان بينهم غلام..

ألقى بجوزته فلم تستقر بالحفرة وخرجت منها، ثم عادت تتدحرج إليها حتى استقرت في قاعها، فصاح الغلام قائلاً في نشوة:

"غلتان غلتان هممي رود تابن كو"

وترجمتها:

"تذهب متدحرجة متدحرجة حتى قاع الحفرة".

فاستشعر الشاعر في هذه الكلمات وزنا مقبولا ونظمها مطبوعا، وراجعها على قوانين العروض واخرجها من متفرعات بحر الهزج.

وقد ذكر "دولتشاه" هذه القصة مع شيء من الاختلاف فأوردوها على أنها وقعت "ليعقوب بن الليث الصفار" 867 -879" مع ولده الصغير، وأن يعقوب استدعى الندماء والوزراء وعرض عليهم هذه العبارة، فانشغل "أبو دلف العجلي" و"ابن الكعب" بتقطيعها، حتى وجدوا في هذا المصراع نوعا من الهزج، فزادوا عليه مصراعا موافقا له، وضموا اليهما بيتا ثانيا موافقا، وأسموه "دوبيتي"، وظل هذا الاسم يستعمل إلى أن رأى بعض الأدباء أن لفظ "الدوبي" غير مناسب فأسموا هذه المصاريع الأربعة بالرباعي.

وهذه القصة على اختلاف روايتها، ان دلت على شيء فانما تدل على أن الفرس هم الذين اخترعوا هذا الضرب من النظم، ولذا يعد الرباعي فنا أصيلا من فنون الشعر الفارسي.

أما عن الأغراض التي صيغت فيها الرباعيات فهي كثيرة ومتنوعة، فقد نظم الشعراء رباعيات في الغزل، والمدح، والحكمة، والفلسفة، والتصوف، والنقد الاجتماعي والسياسي (52).

والجدير بالذكر أن معظم ما نظمه الخيام لم يخرج به عن دائرة الرباعيات.

في عصرنا الحديث لم يكن الخيام معروفا في أوساط شعبه الا لفئة محدودة من الناس. وكانت شهرته قائمة عند مواطنيه على مكانته العلمية الرفيعة. حيث بلغ في الرياضيات درجة الارتياد والاكتشاف. وقد بقي لنا كتابه القيم "الجبر والمقابلة" الذي حل فيه ثلاث عشرة مسألة، منها المعادلة ذات الدرجة الثالثة، حلها بطريقة هندسية مثبتا براعته في علم الرياضيات.

وفي هذا الصدد يقول المرحوم محمد الفراتي: "رأيي في عمر الخيام أنه ما كان شاعرا، ولا كان ثائرا كزميله ابن الصباح، ولا فكر بالشعر ولا بنظمه؟ لقد كا رياضيا جبارا فذا من ألمع الرياضيين في العالم (53)..".

لنناقش ما قاله الأستاذ الفراتي بروية:

لا شك أن الخيام كان عالما كبيرا في الرياضيات. بينما نظم الشعر لم يكن يشغله كثيرا. فهو ينظم رباعياته في أوقات فراغه شحذا للذهن وترويحا عن النفس. وبعبارة ثانية لم يكرس حياته للرباعيات وقول الشعر، بل شغلته الرياضيات وأبحاث الفلك ورصد النجوم.. وهناك من شعراء ايران من يتفوقون عليه كالفردوسي، وجلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار وغيرهم.. اذن كان عمر الخيام شاعرا، غير أنه لم يكن - شعريا - في عظمة المشار اليهم.

أما الحسن بن صباح فقد كان نقي السيرة مستقيم الطوية لم يتورع عن إقامة الحد على ابنه الثاني وقتله بتهمة الاشتراك في قتل أحد الدعاة المخلصين. ومهما تكن آراء "الشهرستاني" وغيره في الحسن بن صباح وفرقته، فا هذه الفرقة أنزلت الرعب في قلوب الصليبيين... لقد اعتمد الحسن على التدين المطلق والتنظيم الدقيقة، ورتب أصحابه على سبع درجات: تبدأ بداعي الدعاة، وهو الحسن نفسه، وتنتهي بالمستجيبين وهم عامة من دخل في

المذهب. وأبعد هذه الفئات أثرا ، جماعة الفدائيين، التي لم تتورع عن اغتيال خصوم الدعوة.. وتلقي الموت بعد ذلك بنفس راضية مطمئنة.

وتجدر الإشارة إلى أن الحسن بن صباح تمكن من قتل زميله في الدراسة نظام الملك بيد فتى من الفدائيين، نتيجة مواقفه العدائية من هذه الفرقة.. فكان قتل نظام الملك أول اغتيال سياسي هام قام به الاسماعيليون.

ويصور لنا المؤرخ "رشيد الدين" كيفية الاغتيال:

"في ليلة الجمعة الثاني عشر من رمضان لسنة 485هـ 16 تشرين الأول سنة 1092م وفي منطقة نهاوند محطة سحنة أو "صهند" جاء "بوطاهر الاراني" بزي صوفي إلى محفة نظام الملك الذي كان محمولا من مكان العامة إلى خيمة نسائه وضربه بسكين فنال بتلك الضربة الشهادة (54)".

اشتهار عمر الخيام

في العصر الحديث

يقال أن أول من كتب عن عمر الخيام من الغربيين هو توماس هايد الانكليزي أستاذ اللغة العربية والعبرانية في جامعة أسكفورد، وذلك في مؤلفه الذي ظهر سنة "1700م" ويتلوه في هذا الموضوع فون هامر برغنسل النمساوي الذي ترجم خمسا وعشرين رباعية لعمر الخيام، وذلك سنة "1818م" ونشرها في كتابه "تاريخ الدولة العثمانية".

ثم ظهرت ترجمة الرباعيات الحرفية النثرية بقلم نيكولاس من فرنسا، وكان من أعضاء السفارة الفرنسية بطهران، وقد ترجم جميع ما اشتملت عليه النسخة المطبوعة في بمبي الهند. وقد توهم نيكالاس أن عمر الخيام كان صوفيا منشغلا بالعشق الالهي سكران بالخمرة المقدسة مثل الحافظ الشيرازي، وذلك نظرا إلى بعض تلك الرباعيات التي تحتوي على مبادئ التصوف.

ثم ظهرات ترجمة الشاعر الانكليزي ادوارد فيتزجرالد .1809 - 1883 - الذي وفق بالعثور على نسخة قديمة من الرباعيات، شاهدها في مكتبة حكومة الهند بـ كلكتا، وهي منسوخة بعد وفاة الخيام بما يزيد عن أربعة قرون ـ أقدم نسخة عن رباعيات الخيام هي نسخة بودلي المحفوظة في جامعة أوكسفورد وقد كتبت بعد وفاة الخيام بنحو ثلاثة قرون ونصف ـ فترجمها إلى الانكليزية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر "1859م".

لم تكن ترجمته وفية للأصل، وان بدت جميلة رائعة فهي أفكار وخواطر انكليزية، على الرغم من طابعها الشرقي العام، وعلى الرغم من أصل أفكارها الفارسي (55).

لم يضع المترجم اسمه على الترجمة، ولم يزد ما طبع من الكتاب عن 250. نسخة. وحين عرض للبيع لم يثر اهتمام القراء ونامت مائتا نسخة منه في مكتبة للكتب العتيقة مدة طويلة من الزمن، حيث كانت تعرض النسخة منه ببنس واحد فلا يقدم على شرائها أي قارئ.؟

ووقعت المعجزة عندما قام الناقد روزتي وكتب مقالة ضافية الديول في شأنها ومقامها بين الاثار الأدبية، وتلاه في تلك وحذا حذوه سونبرن، ولورد هوتون، فتنبهت الخواطر إليها بعض الشيء، وناقت إليها الانفس بعض التوق، فأصبحت بعد حين وكثير من يبذل العشرين جنيها فلا يجد منها نسخة واحدة.

في عام "1869" نشر فتز جرالد طبعة ثانية من الرباعيات مضافا إليها بضع رباعيات جديدة، مغفلا ذكر اسمه في هذه المرة أيضا. ولم تمض الا سنوات قلائق حتى طبعت ثالثة وعندئذ أعلن فترجرالد اسمه لقرائها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فتزجرالد، قد نظم ست عشرة رباعية ليس لها أصل فارسي، وهي نسبة ليست يسيرة إذا قيست بمجموع الرباعيات التي ترجمها وهي تسع وسبعون رباعية في الطبعة الأولى.

يقول فتزجرالد في رسالة كتبها إلى أستاذه كاول:

".. ان ترجمتي مع أنها ليست مطابقة لألفاظ الأصل كثيرا.. فقد غيرت كثيرا من الرباعيات ومزجت بعضها بالبعض، وأخشى أنه ربما ضاعت ناحية من بساطة المعنى وسهولة الألفاظ التي تعد من أكبر مزايا عمر الخيام".

فالشارع الإنكليزي في ترجمته للشاعر الفارسي، كان أقرب إلى من يحول الخبز واللحم في طعامه إلى دماء تجري في عروقه، فهذه الدماء هي في الحقيقة "ترجمة" لما كان أكله من لحم وخبز، وهكذا كان أمره مع الرباعيات، لقد شربها شربا وخلطها بذاته خلطا ثم أخرجها كائنا جديدا،

وكـان هـذا الـكـائن الجديـد هـو رباعيـات الخيـام، ولم يكـن هـو رباعيـات الخيام في آن واحد، ها هنا تكون الترجمة خلقا جديدا، لكنها في الوقت نفسه هي الأصل الذي هي ترجمته، إنها أقرب إلى ما يصنعه النحل وهو يحول الزهر إلى عسل، منها إلى النمل الذي يدع طعامه مخزونا كما وجده (56).

وهكذا اشتهر الخيام في العالم كشاعر ماجن مستهتر يدعو إلى العربدة والمجـون، والانصـهار في الملـذات الحسـية والذاتيـة، لأن الحيـاة تمـر مـرور السحاب الصيفي.

لقد نسي العالم أن عمر الخيام كان عالما وفلكيا.. لأن التقدم العلمي الذي وصلت إليه الإنسانية عبر العصور ومراحل التاريخ، سبق ما قدمه الخيام بأشوط بعيدة المدى.

لقد خلدت الرباعيات اسم فتزجرالد في الآداب الغربية وشهرته في أوروبا وأمريكـا.. ومـن المفارقـات أن تكـون ترجمـة أحمـد الصـافي النجفـي سـببا لشهرته في الوطن العربي. وتذكر الاحصائيات أن الرباعيات تأتي مباشرة بعـد القـرآن الكـريم، والانجيـل، ومؤلفـات مـاركس، في الـرواج وسـعة الانتشار، وتستطيع جميع شعوب الأرض أن تقرأ رباعيات عمر الخيام بلغاتها الوطنية.

أخـيراً فـان الانكليـز أسسـوا ناديـا باسـم عمـر الخيـام في لنـدن سـنة "1892م" وسموه "عمر خيام كلوب". وكان المؤسسون من الأدباء والصحفيين الانكليز الذين عرفوا بعد ذلك بالخياميين.

سوفي سنة "1893م" زرعوا شجرتين من شجر الورد على قبر فيتزجرالد مترجم رباعيات عمر الخيام، وكانتا من بذور اقتطفها ويليم سيمبسن مندوب "ايلو ستريند لندن نيوز" من شجرة الورد التي كانت على قبر عمر الخيام،

وذلك حينما زار القبر أثناء سفره إلى إيران في عهد "ناصر الدين شاه قاجار" وبعثها إلى بعض أصدقائه الانكليز بلندن وقد قال في رسالته:

"أرجو أن تزرعوا هذه البذور في انكلترا، وأظن أن الذي بعثته إليكم سيكون خير تحفة للذين يحبون عمر الخيام، ويحتمل احتمالا قويا أن يكون هذا الورد من نوع ذلك الورد الذي كان الخيام يحبه كثيرا وتمتع بمناظره في أوقات التفكر وإنشاء الشعر". نعم زرعوا شجرتي الورد على قبر فيتزجرالد في حفل تاريخي كبير (57)، ثم وضعت على القبر لوحة جاء فيها:

"هذا الورد الأحمر قد زرع في حديقة كيو، وقد جيء ببذوره من مقبرة عمر الخيام في نيسابور، جاء به من هناك وليم سبمبسن وغرسه جماعة من المعجبين بفيتزجرالد من منتدى عمر الخيام في 7 تشرين سنة 1983 (58)".

رباعيّات الخيام في العربية

انتبه أدباء العرب إلى هذه الرباعيات، بعد أن نالت شهرة عالمية، فكثر الأدباء الذين نقلوها العربية بصورة تثير الانتباه.

ترجمة وديع البستاني:

كان أول من ترجم الرباعيات إلى لغة الضاد الشاعر وديع البستاني في عام "1912م" حيث ترجم أرعين رباعية عن الانكليزية، فجاءت بعيدة عن الأصل والمعنى الفارسي، ولم تمثل رباعياته ـ أو سباعياته ـ من رباعيات الخيام إلا قشورها البراقة وأصدافها اللامعة، وكان له العذر في ذلك إذ لم يكن عارفا بالفارسية فترجم سباعياته عن الانكليزية.

يقول البستاني في مقدمة كتابه:

"أريد بالسباعيات هذين النشيدين الذين عنيت بتضمينهما روح الخيام التي ضمنها رباعياته. وعساني لم أظلم تلك الروح بنقلها من بيت فارسي إلى بيت عربي من رباعية إلى سباعية. فعهدي باللغتين شقيقتين تتبادلان مواطن الأفكار ومساكن الخيال. وهما الاثران الفارسيان أصلا ـ ألف ليلة وليل وكليلة ودمنة ـ ولست لادعي امتلاك زمام اللغتين كعبد الله بن المقفع الذي بتنا نسميه صاحب كليلة ودمنة لا ناقله أو مترجمه وأنا لا أكاد أعرف من الفارسية حرفا واحدا. بل جل قصدي الإشارة إلى ما بذلته من الجهد وأفرغته مما في الوسع في درس الرباعيات بترجماتها المتقنة الانكليزية والافرنسية، نثريها وشعريها وحرفيها وغير حرفيها... فبعد ما وثقت من أن رباعيات فتزجرالد هي نفس الدرر الفارسية منظومة في عقد يأخذ جمال تنسيقه بمجامع العقل والقلب والنفس جميعا عدت إلى تلك الكتب.. وجعلت أدرسها وأطالعها بكل تؤدة وإمعان. فكنت أقضي في سبيل الرباعية الواحدة ثلاث

ساعات أو أربعا مقارنا بينها وبين الرباعية أو الرباعيات التي تعد أصلا لها في ترجمات هو ينفلد ونيكولاس وغارنر وميكارثي وأعود فاستصفي معنى السباعية الواحدة من تلك المصادر جميعا.. فان أحسنت وفيه منتهى جهدي فذلك من حسنات الاجتهاد. والا فحسبي أن أفتحه بابا يلجه من وفقه اللّه في سبيل السداد (59).

مثال ذلك هذه الرباعية التي ترجمها البستاني:

رب رحماك ما كسبت ثوابا

لا ولا كنت مستحقا عقابا

انما قلت ما رأيت صوابا

ووجودي عليَّ كان مصابا

وعزائي الجميل كان الحبابا

وكفاني التوحيد ذخرا فاني

لم أعدد في ديني الا ربابا

ترجمة السباعي:

ثم أعقب البستاني محمد السباعي، فكانت ترجمته بعيدة عن الأصل، وانما هي كلام موزون ثقيل الورود على السمع، أراد به السباعي أن يتظاهر بكثرة محفوظة (60)

افتتح ترجمته بهذين البيتين:

غـــرد الطــــير فنبـــــه مــــــن نعـــــس

وأدر كاســـــــك فـــــالعيش خلـــــــس

سـل سـيف الغجـر مـن غمـد الغلـس

وانـبرى في الشـرق رام أرسـلا

وهذا البيتان من نظم الشاعر العربي "ابن وكيع" ولهما ثالث:

وانجلـى عـن حلـل فضـية

نالهـا مـن ظلـم اللـي دنـس

غير أن السباعي لم يشر إلى اسم "ابن وكيع" في هامش الصفحة.

لقد جاء السباعي فصب كل واحدة من الرباعيات في خمسة شطور خفيت علينا وسر لا نعلمه، فكان من مستلزمات هذه الزيادة أن أضاف إلى المعنى أشياء من عنده، لأن كل كلمة تزيد لا بد أن تزيد المعنى، وليته أضاف ولم ينقص ولكن الحقيقة أنه شوه الرباعيات تشويها لو أنه تعمده لما جاء صنيعه أفحشى ولا مسخه أشد (61).

نختار للقارئ هذه الرباعية من ترجمة محمد السباعي:

هـل سـرت أنفـاس عيسـى في الفـلاة

فـنفخن الـروح في أرض مـوات

ونشـرن النبـت يزكـو مـن رفـات

وبعـثن الطـير يشـدو هـادلا

في أريـك الايـل مثنـى وربـاع

كل هذه ترجمة قول الخيام بالحرف الواحد:

"أما وقد جدد العام الجديد الرغبات القديمة فان الروح المفكر ينثني إلى العزلة حيث النوار كيد موسى البيضاء وله نفحة كأنفاس عيسى (62)".

هـذا الـذي قالـه الخيـام ولا نـدري مـن أيـن جـاء السـباعي بكـل هـذا الهراء؟ وهاك رباعية ثانية:

أشـــعلا في الكـــأس نـــبراس الشـــراب

واطرحـــا في وقـــده ثـــوب المتـــاب

انمـــا اللـــذات خلـــس وانتهـــاب

وليـــالي العمـــــر أفـــــراس إلى

غايـــــة المـــــوت حثيثـــــات ســـــراع

والأصل بحروفه هو:

"تعال! الق في نار الربيع ثوب الشتوي. ان طائر الزمن قصير المطار. وانظر لقد نشر الطائر جناحية (63)"

وأين من هذا أفراس السباعي وشتان بين دلالتي التشبيهين؟

وإليك ثالثة الاثافي:

دع رجـــال العلـــم في شـــغب الجـــدال

ينفقـــون الـــدهر في قيـــل وقـــال

كـــل شـــيء في الـــورى أفـــك محـــال

غـــير مـــوت بـــات يطـــوي أمـــلا

والذي قاله الخيام هو:

"تعال مع الشيخ الخيام ودع العقلاء يتكلمون. ان شيئاً واحدا ثابت ذلك أن الحياة تمضي. شيء واحد وما عداه أكاذيب. والوردة التي تتفحك بأريجها تموت إلى الأبد (64)"

ترجمة أحمد رامي:

ثم جاءت ترجمة أحمد رامي في عام "1924" فكانت بعيدة عن الأصل الفارسي، مع الأخذ بالحسبان أن الشاعر ترجمها عن الفارسية مباشرة.

يقول أحمد رامي في مقدمة الرباعيات:

"أوفدتني دار الكتب المصرية سنة 1922 إلى باريس لدرس الفارسية في مدرسة اللغات الشرقية، فقرأت أبوابنا عدة من الشاهنامة وأنوار سهيلي المعروفة بكتاب كليلة ودمنة ووقعت لي نسخة رباعيات الخيام التي قام بنشرها سنة 1867 المستشرق الفرنسي نيكولا عن نسخة طهران. فانقطعت لقراءتها وتوفرت على درسها حتى إذا انتهيت منها دار بخلدي أن أنقلها عن الفارسية إلى الشعر العربي رباعيات كما نظمها الخيام.. ونصبت نفسي لذلك فراجعت نسخ الرباعيات الخطية المحفوظة في دار الكتب الأهلية بباريس وسافرت في مستهل سنة 1923 إلى برلين فراجعت النسخ الخطية المحفوظة في القسم الشرقي من مكتبتها الجامعة. وعدت إلى باريس فراجعت ما أودع في مكتباتها ـ وأخص مكتبة مدرسة اللغات الشرقية ـ من الصور الشمسية للمخطوطات المختلفة لهذه الرباعيات.. وفي سنة 1924 سافرت إلى لندن فراجعت مخطوطات هذه الرباعيات في المتحف البريطاني.. وانطلقت إلى كامبردج فراجعت مخطوطات جامعتها.. ثم عدت إلى باريس وانقطعت لاتمام

ترجمتي لهذه الرباعيات حتى إذا انتهيت من دراستي ونلت دبلوم مدرسة اللغات الشرقية في اللغة الفارسية رجعت إلى مصر وأخرجت الطبعة الأولى من ترجمتي للرباعيات في صيف سنة 1924...

وانما بدأت ترجمة هذه الرباعيات في باريس سنة 1923 بعد أن وصلني نهي أخي الذي مات ودفن في دار غربة أحسست آلامها وانا نازح الدار، فاستمددت من حزني عليه قوة على تصوير آلام الخيام وظهر لعيني بطلان الحياة التي نعى عليها في رباعياته فحسبتني وأنا أترجمها أنظم رباعيات جديدة أودعها حزني على أخي الراحل في نضرة الشباب وأصبر نفسي بقرضها على فقده (65)"

لقد نالت ترجمة رامي الشهرة والذيوع وتناقلتها الشفاه والالسن، أكثر من كل ما ترجم لأن بعض رباعياتها غنتها أم كلثوم.

وفي هذا الصدد يقول الشاعر الراحل أحمد رامي، ان من دوافعه لترجمة الرباعيات قناعته بصلاحية هذه الرباعيات لتغنيها أم كلثوم، وقد حاول ذلك فعلا فكان أن رفضت أم كلثوم أن تغنيها في البداية قائلة له:

أنا لا أغني .. ولا أتغنى بالخمرة.. وأمام عرضه لها اختيار ـ15ـ رباعية من أصل ـ75ـ رباعية.. وتبديل كلمة الخمرة فيها مثلا في عبارة:

"هبوا املأوا كاس الطلى" ـ أي الخمر ـ فأصبحت كأس المنى، اقتنعت السيدة أم كلثوم وغنت الرباعيات (66).

اننا نستطيع أن نقول عن هذه الترجمة أن رامي أخذ على نفسه المحافظة على الكلمات العربية، وبخاصة إذا كانت ترجمة. فقد كان لا يكثرت بالترجمة الحرفية.. لاعطائها روح الشاعر العربي، رغبة منه في أن يطالعها القارئ العربي فيشعر أنها تأليف لا ترجمة.

هذا الرأي ينفي ما قاله الأديب الأردني روكسي العزيز عن ترجمة رامي بأنها "هزيلة خاوية يبدو عليها فقر الدم الأدبي"

أما الناقد رجاء النقاش فقال عن هذه الترجمة:

"بحثت عن رامي مترجم الخيام فلم أجد منه شيئا. ان ترجمته تؤكد أن رامي ترجم للخيام فقط ولكنه لم يتأثر به ولم يعاشره معاشرة طويلة عميقة، مثل معاشرة غوته أو باسترناك لشكسبير، أو معاشرة أبي العلاء للمتنبي. لقد كانت معاشرة هؤلاء الشعراء لغيرهم مثمرة تركت أكبر الآثار على شعرهم. أما رامي فلم يخرج من ترجمته للخيام بلمسة من لمسات هذا الشاعر العظيم (67)".

ذكر لي الشاعر المرحوم بدوي الجبل - في مقابلة صحفية أجريتها معه - أن أم كلثوم جاءت في الخمسينات إلى دمشق وأحيت حفلتها الفنية في مدرسة "اللاييك" وقد دعتني إلى حضور الحفلة، فذهبت إلى هناك على الرغم من أنني لا أحي مثل تلك الحفلات الفنية الصاخبة.. في اليوم التالي زارتني في المنزل يرافقها السيد محمود رياض سفير مصر بدمشق - آنذاك - وطلبت مني أن أسمح لها بغناء قصيدتي المسماة "شقراء" التي نظمتها بفتاة سويسرية ومما قلته في تلك القصيدة:

شقراء يا لون حسن محبب مستبد

وقد رغبت أم كلثوم أن أبدل كلمة "شقراء" بـ "سمراء" فاعتذرت عن تحقيق طلبها.. ثم زارتني مرة ثانية بهدف أن أغير رأيي فباءت محاولتها بالإخفاق.. وخرجت غاضبة من منزلي.

ترجمة أحمد الصافي النجفي:

ثم جاءت ترجمة الشاعر العراقي الراحل أحمد الصافي النجفي في الثلاثينات من هذا القرن الذي ترجم الرباعيات رباعية رباعية، شعرا بشعر ونجح في الكشف عن المعنى الصحيح لكل رباعية.

يذكر أحمد الصافي النجفي ملابسات تعريبه للرباعيات قائلا: "أول ما قرأت من رباعيات الخيام هو تعريب الأديب السيد وديع البستاني، وقد أثرت في نفسي قراءتها حينذاك بحيث نقلتني من عالمي المحسوس إلى عالم خيالي بديع ملؤه اللذة والهناء.. وقلت لنفسي ان كان هذا أثر التعريب فما هو أثر الأصل يا ترى؟ فشعرت بالحاجة إلى تعلم الفارسية وآدابها. ولكن كنت في بيئة عربية والأسباب لم تكن متوفرة لبلوغ الأمنية.. فاضطرتني الظروف إلى مغادرة بلادي واتخاذ طهران دارا لهجرتي. أقمت في طهران ثماني سنين كان همي الوحيد فيها درس الأدب الفارسي.. وأخذت أجرب قريحتي في تعريب بضع رباعيات عرضتها عند ترجمتها على أدباء إيران العارفين بالعربية وآدابها، فقابلوها بالأصل وأبدوا إعجابهم منها، وشجعوني على إكمال العمل، فأخذت أوالي السعي وافرغ الجهد ثلاث سنوات كاملات، لم يكن لي فيها شغل سوى اتمام هذا العمل، حتى أكملتها ثلاثمائة واحدى وخمسين رباعية، وكان همي الوحيد أثناء التعريب متجها لأمرين الأول الأمانة في النقل والاحتفاظ بالمعنى الأصلي. الثاني تقريب التعريب بقدر الطاقة من الذوق العربي، وكثيرا ما كنت أضحي بخيالي الشعري في سبيل تحقيق هذه المهمة ".(68)

لذلك جاءت ترجمته وكأن أنفاس الخيام ترددت في صدر النجفي. ولو طلب إلى الخيام ـ وهو الشاعر الفحل المتضلع من العربية ـ أن ينقل رباعياته إلى العربية لما استطاع أن يعربها كتعريب الصافي.

ولولا قرابة قوية بين الصافي والخيام في التفكير والصفات لما قدر الصافي أن يترجم الخيام ـ على حد تعبير الأستاذ أحمد حامد الصراف ..

أما أستاذ الأدب العربي الملقب بـ "صدر الافاضل" الذي كان يدرس أسرة "الشاه" المقبور آداب العربية فقال بعد أن اطلع على رباعيات الصافي كاملة:

"أكاد أعتقد أن الخيام نظم رباعياته بالعربية والفارسية معا، وقد فقد العربي منهما عليه وانتحلته للفسك".

كذلك فان أحد كبار شعراء إيران المعاصرين وهو محمد حسين بهار الملقب بملك الشعراء، قال عن تعريب الصافي:

"أن بعض التعريب مع كونه مطابقا للأصل جداً، فهو يفوقه من حيث البلاغة والأسلوب كهذه الرباعية (69):

أيا فلكا بربي كل نذل

وليس يدور حسب رضا الكريم

كفى بك شيمة ان رحمت تعوي

بذي شرف وتسمو باللئيم؟

ويقول المرحوم العلامة محمد الفراتي عن هذه الترجمة:

".. ان أحسن من ترجم الرباعيات إلى العربية هو أحمد الصافي النجفي (70)".

ويقول الدكتور احسان حقي:

"إن خير التراجم العربي هي ترجمة الصافي، وهو يدرك هذه الدقة في ترجمته ولذلك وضع الأصل والترجمة إزاء بعضها يراهما من يعرف اللغتين، وذلك ثقة منه بحسن صنعه وهو على حق فيما فعل (71)".

وحول هذا الموضوع يقول الأستاذ المرحوم فؤاد الشايب:

"إن الصافي لم يقدم على ترجمة الرباعيات، إلا بعد أن أصبح الخيام نسمة من روحه، ودفقه دم في دمه، فالصافي أحب الخيام ووقف الشاعران يتعارفان أمام هيكل الحب زمنا طويلا، فاذا بالواحد شتى من طينة الآخر، وهنا دخل الشاعر العربي في حياة الشاعر الفارسي، في أرضه، في جوه، وكل ما هو من محيطه، حتى لو أراد هذا أن يحل لما اختار الا الصافي جسدا وروحا (72)".

وعندما قدم الدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ علي الجارم، عائدين من بغداد، بعد اشتراكهما في حفلة تأبين الملك غازي زارهما الصافي في فندق أمية بدمشق، وجرى البحث في الشعر ثم في ترجمة رباعيات الخيام، والدكتور عزام من المطلعين على الأدب الفارسي. المتضلعين باللغة الفارسية، وهو ناشر ترجمة "الشاهنامة" للفردوسي.

فقال الدكتور معجبا بترجمة الرباعيات للصافي: أن الكثيرين ترجموا الرباعيات شعرا ونثرا. فالذين ترجموها نثرا كان المجال أمامهم للتقرب من الأصل، وكانت ترجمة الصافي شعرا أكثر مطابقة للأصل من أي ترجمة نثرية وشعرية.

قال الصافي وهو مزهو دون غرور للكاتب العربي الكبير:

ليس الفضل في ذلك لذكائي أو لخيالي. بل لجهودي خلال ثلاثة أعوام حت ساهمت في تهديم صحتي تهديما.

فأجاب الدكتور عزام:

يقول الشاعر تركي يا أستاذ.. أن لا بأس من أن يتعب الكاتب أو الشاعر نفسه في إنتاجه، ولكن على شرط أن لا تشم منه رائحة العرق (73).

الشهادة الأخيرة جاءت من العلامة محمد خان القزويني، العارف بمعظم اللغات الأوروبية، والعضو في مؤتمر المستشرقين بأكسفورد، والذي كان العضد الأيمن للمستشرق بأكسفورد، والذي كان العضد الأيمن للمستشرق الانكليزي "برون" في نشر الكتب الفارسية والتعليق عليها يقول:

"أشهد الله أنني قلما رأيت بين التراجم التي لا تعد ولا تحصى للهيام ترجمة صحيحة ومطابقة للأصل كترجمة الصافي النجفي".

أما انتقاد الأستاذ الإيراني فينحصر بالوزن فحسب. وذلك لأنه لم يحتفظ بالوزن الأصلي للرباعيات ـ أي بحر الدوبيت ـ حيث لم يقيد نفسه بوزن خاص يطرد في جميع الرباعيات.

ويبرز الصافي النجفي تصرفه في مقدمة الرباعيات قائلا:

"الاذن تمل من استماع نغمة واحدة تتكرر في وزن واحد، وتميل إلى التنوع، فما الوزن الا نوع من الموسيقى، وكل يعرف كيف يعتري السمع الملل عند استماع القطعة الموسيقية ذات اللحن المتكرر.. وكيف يرتاح السمع عند استماع القطعة الموسيقية ذات الالحان المتنوعة. ومثل ذلك يعرض للعين أيضا، عند مشاهدة الروضة ذات الزهر الواحد، أو الروضة ذات الزهور المختلفة..".

لا شك أن هذه الشهادات مجتمعة، تنفي ما قاله الدكتور إبراهيم كيلاني بأنه قد أجمع العارفون أن ترجمة الصافي للرباعيات من أرقى الترجمات وليست أحسنها (74).

ترجمة أحمد حامد الصراف:

ثم جاء أحمد حامد الصراف وترجم ـ200 - رباعية عن الفارسية نثرا، بعد ذلك تولى نظمها شعرا صديقه الأديب محمد الهاشمي، وفيما يلي نماذج من هذه الترجمة:

"جاء بي إلى الوجود على الرغم مني. ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة. ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا".

جيـــــئتي الـــــدنيا أذى واضـــــطراب

وبقـــــائي تحـــــير وارتيـــــاب

وبقســـــر يكـــــون مـــــني ذهـــــاب

أي قصـــــد مـــــن جيئـــــة وبقـــــاء

وذهـــــاب قـــــد ضـــــلت الالبـــــاب

"بيد مصحف وبيد كأس. مرة نأتي بالحلا ومرة نأتي بالحرام. لسنا تحت هذه القبة الفيروزجية بالكافرين على الاطلاق ولا بالمسلمين على التمام"

بيـــــد مصـــــحف وكـــــأس بـــــأخرى

تـــــارة بـــــالحلال آتـــــي وطـــــورا

بحـــــرام آتـــــي فاحمـــــل وزرا

لســـت تحـــت الســـماء بالكـــافر الملحـــ

د ولا كنـــــت كامـــــل الاســـــلام

كانت هذه الترجمة التي جاءت كل رباعية منها في خمسة شطور، محشوة بكلمات لا طائل من ذكرها.. لذلك لم تكن وفيه وقيقة للأصل الفارسي.

ترجمة جميل صدقي الزهاوي:

ثم أعقبهما الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي فترجم الرباعيات عن الأصل الفارسي رباعية برباعية نثرا ثم نظما شيئا بعد شيء واختار مائة وثلاثين رباعية.

ومن يطالع الترجمة النثرية ويطابقها مع الترجة الشعرية يجد الزهاوي قد تصرف تصرفا شائنا في النقل، وأهمل المعنى الذي أراده الخيام، ولو أراد الزهاوي الاجادة لاجاد واحسن، إلا أنه ركب مطية العجلة، وكان يفخر أنه ترجم الرباعيات في أربعة أيام؟ وفيما يلي أنموذج لترجمة الزهاوي:

أنـــا يـــا ربـــي الـــرحيم وان كنـــ

ت لجهلـــي مقـــدما كـــل شـــين

لـــيس بـــي يـــأس منـــك اذ لم أقـــل للـــ

واحـــد الفـــرد في حيـــاتي اثـــنين

لهـــف نفســـي علـــى شـــباب تـــولى

وربيـــع مـــن الســـرور تـــوارى

انمـــا الطـــائر المســـمى شـــبابا

بعـــد ماقـــد أقـــام يهتـــف طـــارا

ترجمة أحمد زكي أبو شادي:

وممن ترجم الرباعيات إلى العربية أيضا، الدكتور أحمد زكي أبو شادي، الذي ترجم الرباعيات عن الانكليزية خلال وجوده في "نيويورك" عام "1951". فجاءت ترجمته غير دقيقة. وذلك لسبب بسيط ـ لا يخفى على أحد ـ

يتلخص بأن رباعياته مترجمة عن الانكليزية مباشرة. كما ن التصوير الحسي في ترجمة أبو شادي، قد سلب الرباعيات في الذهن المعاصر من الغلاف الروحاني الذي يحيط بالرباعيات.. مثال ذلك:

تيقظ! فهذي الشمس من خلف ربوة

إلى الشرق ساقت أنجما تصحب الليلا

رمتها بعيدا عنه، ثم إلى السما

رمت قلعة السلطان بالنور فاستعلى

أو كهذه الرباعية:

تعالي معي في شقة العشب هذه

وقد فصلت قفرا عن الزرع والعرش

وحيث تنوسي كل عبد وسيد

وقولي سلاما للمليك على العرش!

كذلك جاءت المعاني في ترجمته ساذجة، دونما استغلال للطاقة الشعورية التي تكمن وراء اللفظة كقوله:

رأيت بقصر ترفع الأفق عمده

وحيث ملوك خاشعين تبوكوا

مطوقة ناحت وصاحت بشجوها

كوكو كوكو كوكو كوكو

أما الترجمة الحرفية لهذه الرباعية:

"إن ذلك القصر الذي كان يناطح السحاب، وكان على أعتابه الملوك يعفرون الجباه، رأيت في ركن منه يمامة جالسة تقول: أين (75)".

وكلمة "كوكو" هو ما يتبادر إلى الذهن ـ للوهلة الأولى ـ إنها زقزقة الطيور، ولكنه في الفارسية أيضا معناها أين أين فلقد نفخ الخيام في هذه الكلمة البسيطة من روحه حتى أصبحت حافلة بالحياة، وكأنما أنطق الطيور بما يفهمه الانس أو جعل هؤلاء يفهمون لغة الطيور (76).

لجأ أبو شادي أيضا إلى كلمات قاموسية فيها غرابة وخشونة.. لمتطلبات الوزن والقافية:

ولا تخش من هذا الوجود، جهالة

لنوعك أو تضييعه حينما انثنى

فكم همر الساقي المخلد دائما

ملايين من تلك الفقاقيع مثلنا

ترجمة عبد الحق فاضل:

في سنة 1952 نشر الشاعر العراقي عبد الحق فاضل كتابه "ثورة الخيام" الذي بحث فيه جوانب حياة الخيام المختلفة، فتحدث عن شخصيته وعقليته وفلسفته، ثم فصب الكلام في الرباعيات من حيث الاختلاف في عددها، وما رافق ذلك من اختلاط وتزوير..

يصف عبد الحق فاضل ترجمته بأنه توخى فيها كل دقة ممكنة، حتى جاءت بمطابقتها الأصل الفارسي كأنها ترجمة لفظية. وحرص أن يكون المبنى وعاء للمعنى وحسب، فهو سهل واضح لم يجنح فيه إلى تعقد ولا تكلف

مـن البلاغـة الا اجتنـاب الركاكـة، ولا استسـلم إلى تلـك الشـوائب الـتي يسمونها ضرورات الشعر.

فجاءت الترجمة موفقة تحمل الصحة والعافية ليس فيها ما يشينها سوى الغنائية عن الرباعيات:

جئت لكن مجيئئ لم يكن عن طابي

وسأمضي لا بتدبيري ولا عن أربي

أيها الساقي فشمر، وتقدم بالطلا

فلتظهر شجن الدنيا بماء العنب

أو كقوله:

صاح أقلل ما تمكنت عديد الأصدقاء

واصطحب ان شئت أهل الدهر لكن من بعيد

ان من تركن في الدنيا اليه بالولاء

ليس في باصرة العقل سوى خصم لدود.

ترجمة إبراهيم العريض:

ثـم جـاءت تجربـة أخـرى تضـاف إلى تـراث الأدب العربـي، وهـي ترجمـة الرباعيـات بقلـم الشـاعر العربـي البحـريني إبـراهيم العـريض، الـذي عـرف الرباعيـات في أصولها ودرسـها دراسـة عميقـة وأضـاف إلى الترجمـة مـن روحـه الشعرية وتفسيره الخاص وفهمه المستقل ما جعل للرباعيات في ترجمة العريض شخصية متميزة بين سائر الترجمات وان لم تكـن مطابقـة للأصل الفارسـي، فإنها أقرب ما تكون إلى حقيقة الخيام (76):

فيا غازيا الهنه الحروب

فما لضحاياك فيها نصيب

ستغدو إلى حفرة مثلهم

نواريك عهدك منها قريب

فجدد مع الكأس عهد غرامك

وحل مرارتها بابتسامك

وعجل فجوقة هذي الطيور

قد لا تطيل الطوائف بجامك

وأين الذين أثاروا الجدال

وكان الهدى بحثهم والضلال؟

أشار الردى لهمو بالسكوت

ففضوا النزاع.. وشدوا الرحال

ترجمة الدكتور مصطفى جواد:

قام الدكتور المؤرخ اللغوي الشهير مصطفى جواد من القطر العراقي، بترجمة مجموعة من رباعيات الخيام، بعد أن قرأ الترجمة النثرية لأحمد حامد الصراف، فأعجبته وقيدها بقيود العروض لتكون أقرب إلى الإيقاع والامتاع، وكان ذلك حرصاً جمالها، ورغبة في زفها مجلوة في معارض النظم ـ على حد تعبيره..

وكان نظمه لها عر طريقة التمسيط السباعي الأشطر، لأنه عجز ـ كما اعترف ـ عن أن يضمن أربعة أشطار قريبة معاني الرباعية الفارسية. فكانت ترجمته ضعيفة المعنى..

مسطحة في شكلها السباعي:

أمـــس قـــد بـــان لا تقـــل كيـــف بانـــا

وغـــد لكـــم لم يجـــئ فلـــيس زمانـــا

لا تكـــــن آســـــفا علـــــى ملكانـــــا

أو يروعـــــك حـــــادث مـــــا حانـــــا

طـــب بـــرغم الزمـــان يـــا صـــاح نفســـا

وتمتـــــع بكـــــل يومـــــك خلســـــا

لا تدع لحظة تمر خسارا

ويقول أيضاً:

قـــــم حبيـــــب إلى وارع فـــــؤادي

فزمـــــاني بـــــاغ كـــــثير العـــــوادي

بالجمـــــال البهـــــي منـــــك اعتضـــــادي

فيـــــه حـــــل لمشـــــكلتي المتمـــــادي

هـــــات كـــــوزا مـــــن الشـــــمول انتهـــــازا

قبلمـــــا يجعلوننـــــا أكـــــوازا

يشـــــربون الســـــلاف فيهـــــا مـــــرارا

ترجمة محمد جميل العقيلي:

وفي القطر العربي السوري قام المهندس محمد جميل العقيلي بترجمة الرباعيات عن الإنكليزية، وجعل كل رباعية فارسية وفي سبعة أشطر عربية.. مما أبعد ترجمته عن الأصل الفارسي، وعن روح الخيام.. ووقع المترجم في الركاكة ومما قاله في مقدمة كتابه الصادر عام 1966: "وقد ألزمت نفسي قافية واحدة آخر كل شطر من السباعيات، منذ البدء حتى الختام، يتكرر صداها في السمع فيأخذ اللسان والأذن حظيهما معا، خلافا لمن كان سبقني من المترجمين الشعراء الذين أبرزوها خماسيات أو سباعيات، أنهم وان كانوا تقيدوا بكثير منها بالقافية الأخيرة، لكنهم لم يستمروا فيها، بل اضطروا إلى تبديلها.. ولقد اخترت طراز السباعيات، وفضلتها على الرباعيات لأني وجدتها أوفر نصيبا في تأدية المعنى (77)".

ومما قاله العقيلي:

يـــا لحظـــي لـــو أســـتطيع بقفـــر

تحـــت غصـــن والمـــاء حـــولي يجـــري

وبقربـــي كـــأس وديـــوان شـــعر

ورغيـــف أرى بـــه كـــل زادي

وحبيـــب غنـــى فأشـــجى فـــؤادي

ذاك حســـبي فـــالقفر عنـــدي جنـــان

لم أجـــد في الوجـــود أحلـــى مـــذاقا

ظـــن بعـــض الانـــام هـــذا الوجـــود

بهجـــة الخلـــق مــــا عليـــــه مزيـــــد

وجنـــــان الفــــردوس فيهـــا الخلـــــود

كـــــل مــــا تشـــتهي وترغـــب يحضــــر

انـــــني ناصـــــح بقــــولي فاحــــــذر

اقـــبض النقـــــد واتـــــرك التســـــويفا

ان في الطبـــــل صـــــوته الزعاقـــــــا

صـــاح انفـــق ان كنـــت تجمـــع مـــالا

وتجنـــــــب في حفظـــــــه الاهـــــــوالا

مــــا الامــــاني أن تبقـــى أســـعد حـــالا

في غــــد لا غــــد عســـــاك تـــــراه

لا تـــــرج أمـــــا سمعـــــت نـــــداه

صــــاح فــــيهم مـــــؤذن لاجـــــزاء

عنـــــد هــــــذي أو بعـــــدها يــــا حمـــــاقى

ترجمات مغمورة:

وتتوالى الترجمات الواحدة تلو الأخرى، فيقوم الأديب الأردني الراحل تيسير سبول، بترجمة الرباعيات عن الإنكليزية وينشرها في إحدى الصحف الأردنية. كما وترجمها طالب الحيدري من العراق شعرا مستندا على ترجمة الصراف النثرية.

كذلك ترجم الأديب نويل عبد الاحد ، الرباعيات عن اللغة الانكليزية نثرا ، ونشر بعضها في مجلة الإيمان - مجلة شهرية ثقافية عامة كانت تصدر بدمشق (78) - ثم طبع ترجمته في كتاب صغير الحجم بعد أن كتب مقدمة الكتاب الشاعر الكبير شفيق جبري (79)، وفيما يلي نماذج من هذه الترجمة:

استيقظ أيها الإنسان من رقادك العميق

فقد لاح الصباح

ها هي أشعة الشمس

قد أخذت تتسلق أعالي الجبال والأبراج

يا ندامى املؤوا الأكواب بالخمور،

ثم ارشفوها سلسبيلا

واخلعوا ثوب الشتاء وألقوه في اتون الربيع

ان عصفور الزمان يقيم لحظات ثم يطير إلى حيث لا رجعة.

أنا أجلس وحيدا في هذه الفلاة

ومعي رغيف عيش وكأس خمر وكتاب شعر

وأنت تنشدين بجانبي ألحانك العذبة

فتتحول هذه الفلاة إلى جنة جميلة

ترجمة توفيق مفرج:

ثم تولى الأديب توفيق مفرج خريج جامعة كولومبيا ، ترجمة الرباعيات من الإنكليزية نثراً إلى العربية. ويتحدث مفرج عم ترجمته قائلاً :

"أعـترف أنـي لم أتـرجم عمـر الخيـام ترجمـة دقيقـة حرفيـة لقـد درسـت الفارسـية لاسـتعين بالأصـل الفارسـي، ثـم اسـتعنت بالوضـع الإنكليـزي الـذي وجدته بعيدا كل البعد عن الأصل الفارسي. اني لم أترجم عمر الخيام ترجمة حرفيـة، ولم أتحـر الكلمـات والجمـل، ولم أحـرص علـى مراعـاة الأصـل، بـل أخـذت المعنـى ووضـعته وضـعاً جديـدا، حتـى إذا شـئت أن تعـود بـه للأصـل الفارسـي فقـد لا تجـد تشـابها أو تقاربـا أو تعاشـقاً بـين الأصـل والفـرع، لقـد نزعت عنها الثوب الفارسي وألبستها بالعربية روح الخيام الفيلسوف".

وبلغ شغف العرب برباعيات الخام أن ترجمها بعضهم إلى بعض اللهجات العربيـة المحليـة لتقريبهـا مـن الجمهـور. ففـي جمهوريـة مصـر العربيـة ترجمهـا حسـين مظلـوم ريـاض بلغـة الأدب الشـعبي بالاعتمـاد علـى تـرجمتي البسـتاني والسباعي. وفي لبنان ترجمها "آرثو ضو" إلى اللهجة اللبنانية عن الترجمة الإنكليزية ونشرتها دار مجلة شعر ببيروت (80).

لقد أشبعت الرباعيات ترجمة إلى العربية، وسبب كثر هذه الترجمات يعود إلى حب التقليد عند بعض الأدباء، وعدم رغبتهم في ترجمة أعمال شعرية لشعراء آخرين..

وتبقـى هـذه الترجمـات الـتي لم تشـتهر ـ وقـد أشـرنا إليهـا ـ محـاولات تضمنها المكتبة العربية.

وفي هـذا الشـأن يـرى وديـع فلسـطين الاقتصـار علـى ترجمـة واحـدة للأثـر الفكـري الأجنبي، والبعـد عـن تعـدد الترجمـات وكثـرة وقوعهـا علـى الـنص الواحد فهو يرى في تعدد الترجمات والنقول للأثر الفكري الواحد تكرار واضاعة جهد (81).

بينما يرى الناقد الإنكليزي جلبرت هايت، بضرورة وجود ترجمات مختلفة لعمل أدبي واحد. ولا ضير في هذه الكثرة ولا ضرر منها على النص الشعري المترجم، بل هي تفتيق لنواح من الجمال والحس والذوق والعمق فيه.

ويؤكد هيت هذا المعنى بقوله: "عن ممثلين اثنين لا يمكن أن يؤدي كل منهما دور ـ هملت ـ بالطريقة التي يؤديه بها صاحبه (82)".

غير أنني أرى أن واقعنا الثقافي الحالي لا يسمح لنا بإضاعة كل هذه الجهود المضنية لترجمة عمل واحد. خاصة وأن هناك آلاف الكتب الأجنبية الهامة التي يتشوق القارئ العربي إلى مطالعتها تترجم حتى هذا اليوم.

ومن الغريب أن يزعم السيد أنور الجندي في كتابه "الشعوبية في الأدب العربي الحديث" أن ترجمة رباعيات الخيام التي قام بها الشعراء والأدباء في البلاد العربية يهدف منها تدمير الأدب العربي عن طريق خلق طوابع من التحلل في محيط الأدب العربي.. أضف إلى ذلك خلق إطار من الإباحيات والخمريات من شأنه أن يؤثر في نفسيات الشباب العربي ويثير فيه طوابع التحلل والرخاوة والميوعة والتمزق النفسي (83).؟

لا شك أن هذا الرأي الشاذ المتزمت لا يحتاج إلى تعليق؟

نماذج

من ترجمات عمر الخيّام

لنقرأ الآن ترجمة لرباعية واحدة، قام بتعريبها بعض الأدباء الذين أشرنا إليهم، بهدف التعريف بأسلوب هذه الترجمات وإعطاء لمحة سريعة عنها.

قال عمر الخيام في إحدى رباعياته:

أي همنفسان مرا زمي قوت كنيد

واين جهره كهربا جو ياقوت كنيد

كرفوت شوم بباده شوئد مرا

وزجوب رزم تختهء تابوت كنيد

يقول أحمد حامد الصراف:

يا رفقتي أقيتوني بالخمر واجعلوا وجهي المصفر اصفرار الكهربا أحمر كالياقوت. وإذا مت فاغسلوني بالمدامة واصنعوا تابوتي من أعواد الكروم.

يقول مصطفى جواد:

اغســــــلوني إذا دهـــــــاني القضـــــــاء

بســــــــــــلاف أنوارهـــــــــــــا لألاء

وبخمـــــــر في الجـــــام، انـــــي أشـــــاء،

لقنـــــوتي فـــــذاك حقـــــا غنـــــاء

وبيـــــــوم النشـــــــوران تطلبـــــــوني

في تــــــــراب بحانـــــــــة تجـــــــــدوني

فمعـــــادي في صـــــحبة الخمـــــر ســــارا

يقول أحمد زكي أبو شادي:

الا فلتـــــــــزود بالســــــــلاف بقيــــــــة

لعمـــــري وغســــــل بالســــــلاف رفـــــاتي

وألــــق بجســــــمي طـــــي نبــــت منضـــــر

بمهجــــــور بســــــتان تــــــرد حيـــــــاتي

ويقول محمد السباعي:

رو قبــــل المــــوت مــــن بـــــرد الشــــمول

عــــودي اليــــابس مــــن قبــــل الــــذبول

واذا مـــــا مــــــت فاجعلـــــها غســــــولي

وبأفيـــــــاء العناقيـــــــد احتفـــــــــر

لــــــي وكفـــــــني بــــــأوراق الثمـــــار

ويقول ابراهيم العريض:

اذا آذنــــــــت بانخمـــــــــاد حيـــــــاتي

فشـــــيع بمشـــــوبة الـــــراح ذاتـــــي

وتحـــــت ظـــــلال الكـــــروم قـــــبري

بأوراقهـــــا هـــــي كفـــــن رفـــــاتي

ويقول أحمد رامي:

هـــــات اســـــقنيها أيهـــــذا النـــــديم

أخضـــب مـــن الوجـــه اصـــفرار الهمـــوم

وان أمـــت فاجعـــل غســـولي الطلـــى

وقـــد نعشـــي مـــن فـــروع الكـــروم

ويقول عبد الحق فاضل:

يـا خليلـي اجعـلا قـوتي مـا عشـت الحميـا

تجعـلا كهـرب هـذا الوجـه ياقوتـا نقيـا

ومتـى حانـت وفـاتي فاغسـلاني بسـلاف

ومـن الكـرم أعـدا لـي تابوتـا سـويا

ويقول وديع البستاني:

ملء صدري أدواؤه والكروب

يا ندامى وهي الطبيب العجيب

فمن الخمر كيف. أتوب

فبأوراق كرمة كفنوني

وبكرم بين الأصول أدفنوني

واغسلوا عند موتي رمتي البلية بالخمور

بصفاها ذاك الزلال الحلالا

ويقول محمد جميل العقيلي:

يـــــا لمـــــاء العنقـــــود مـــــا أحلاهـــــا

مـــــد روحـــــي بخمرتـــــي وطلاهـــــا

واســــكب الـــــراح في جميـــــل بهاهـــــا

عنـــــد مـــــوتي بصـــــرفها غســـــلوني

وبـــــأوراق كرمـــــة كفنـــــوني

واجعلـــــوا القـــــبر في ريـــــاض جنـــــان

لا أبـــــالي الثـــــرى طباقـــــاً طباقـــــاً

ويقول أحمد الصافي النجفي:

اجعلوا قوتي الطلا وأحيلوا

كهرباء الخدود للياقوت

واذا مت فاجعلوا الراح غلسي

ومن الكرم فاصنعوا تابوتي

ويقول نويل عبد الاحد:

اجعلوا طعامي كله عنباً

واغسلوا عند موتي رمتي البالية بالخمور

واحفروا قبري تحت ظلال العناقيد

وادفنوني بين أوراق الكروم

يقول الخيام في احدى رباعياته:

دي كوزه كرى بديدم أندر بازار

برباره كلى لكد همي زد بسيار

وآنكل بزيان حال با أو ميكف

من همجو توبوده ام مرانيكو دار

يقول أحمد حامد الصراف:

رأيت أمس خزافاً في السوق يركل قطعة من الطين، وكان لسان حالها يقول للخزاف لقد كنت يا هذا مثلك فعاملني بالحسنى..

يقول مصطفى جواد:

كـــان هـــذا الكـــوز الصـــموت مثـــالي

مغرمـــــا في الغـــــدو والاوصـــــال

مســــــتهاما بفـــــرع ذات جمـــــال

يتمنــــى المنـــى بقـــرب الوصـــال

هـــــذه العـــروة الـــتي في الجيـــد

يـــد صـــب كانـــت علـــى التأكيـــد

مـــداها لاعتنـــاق احـــدى العـــذاري

يقول عبد الحق فاضل:

ولقد شاهدت خزافا دؤوبا لايني

يركل الطين على الدكة كالمتهن

واذا بالطين يشكو بلغاه قائلاً:

كنت يوما مثلك اليوم، فاسجع وارعني

يقول وديع البستاني:

أمس أبصرت جارنا الخزافا

يجبل الطين كيف شاء اعتسافا

ويكيل المقدار منه جزافا

وكأني أسمعت بين يديه

صوت ذات مظلومة تشتكيه

آه رفقاً فأنت طين ماء

أيها المرء لا تسمني العذابا

يقول أحمد زكي أبو شادي:

وأذكـــر أنـــي كنـــت أبصـــرت صـــانعا

تنـــــاول طينـــــا جـــــابلا لانائـــــه

فقـــال لـــــه رفقـــا أخـــي ورحمـــة

وتمـــــتم في لفـــــظ بغـــــير أدائـــــه

يقول محمد السباعي:

طفـــت يومـــا حـــول خـــزاف لبـــق

يصـــنع الأكـــواب مـــن طـــين لثـــق

لطمـــت كفـــاه في عنـــق وخـــرق

طينـــــة مـــــا ســـــترحمته وجـــــلا

قالـــت ارفـــق لا تكـــن فـــظ الطبـــاع

يقول العقيلي:

جـــزت يومـــا وفي أصـــيل النهـــار

ساحة السوق معرض الفخار

واذا بي أرى الخزاف في جاري

يخبط الطين كي يصوغ الاواني

فكأني اسمعت صوتا دعاني

قل له يا أخي برفق برفق

لتذوقته جزاء وفاقا

يقول ابراهيم العريض:

فاني سمعت بأذني كوزا

يقول: أهنت بلطمي عزيزا

ألست كمثلي خزاف طينا

فتلك اذن قسمة لي ضيزي

يقول أحمد رامي:

مررت بالخزاف في صحوة

يصوغ كوب الخمر من طينة

أوسعها دعا فقالت له:

هل أقفرت نفسك من رحمة

يقول أحمد الصافي النجفي:

رأيت في السوق خزافا غدا ذئبا

يدوس في الطين ركلا غير ذي حذر

والطين يدعو لسان الحال منه الا

قد كنت مثلك فارفق بي ولا تجر

مما سبق عرضه أستطيع القول - وباطمئنان شديد - أن أدق وأحسن وأفضل ترجمة لرباعيات الخيام شكلاً وموضوعاً هي ترجمة أحمد صافي النجفي. بشهادة أدباء الفارسية والعربية على حد سواء.. مع التنويه أن الصافي في ترجمته كان يترك للعفوية أبعادها الكاملة.. لذلك غابت الغنائية عن ترجمته. علاوة عن تلك المقارنة التي أجريناها بين ترجمة الصافي النجفي والترجمات الأخرى.

تليها ترجمة عبد الحق فاضل الذي تقيد بالرباعية من غير أن يتصرف الا ما تدعوه إليه الأوزان والقوافي العربية.. مما جعل ترجمته الحرفية تخلو من المسحة الغنائية.. وعذوبة الشعر.

أما ترجمة أحمد رامي فهي مغلفة بمسحة من الغنائية العذبة كانت بعيدة بعض الشيء عن الأصل الفارسي.

كما لاحظنا أن الترجمة - كترجمة الرباعيات عن الإنكليزية - تؤدي إلى البتر والتشويه.

ولا شك أن النقل والترجمة عن الأصول ذاتها يدل على مستوى ثقافي وعقلي عال في الأمة الناقلة. لذلك لم يعد مستحبا اللجوء إلى الترجمة عن الترجمة، الا حين ينعدم أو يندر العارفون باللغة الأصلية.

بق أن نعرف في نهاية هذا الكتاب، موقف أحمد الصافي النجفي من الخيام ورباعياته؟

كان النجفي يردد دائماً:

أنا بريء من الخيام ورباعياته..؟

عمر الخيام ترتيبه السابع بين شعراء فارس.

هذا التحول يعود إلى أن شهرة النجفي، جاءت عن طريق ترجمة الرباعيات، لا عن طريق شعره ودواوينه، مما حز في نفسه وجرح كبرياءه وهو الشاعر المعتز بشعره.. المعتد بشخصيته.. فأصيب لفترة من الزمن بانهيار عصبي (83) لهذا السبب رفض النجفي الموافقة على اصدار طبعة جديدة لرباعيات الخيام خلال حياته.

بل تمنى في قرارة أعماقه لو يسدل الستار نهائياً على هذه الترجمة أو المهزلة على حد تعبيره.

لقد سجل النجفي ندمه على شعرا على ما قام به من ترجمة رائعة موفقة للرباعيات فقال:

ندمت اذا عربت للخيام

اذ يومها ما كنت في الانام شاعرا

بل كنت بوقا فاغرا فمه

وكنت عبد الترجمة

مختارات من

ترجمة أحمد الصافي النجفي

ولد أحمد الصافي النجفي عام 1897. من والد عراقي وأم من جبل عامل في لبنان. وتلقى تعليمه على الطريقة التقليدية في معاهد النجف، وعلى أيدي بعض علمائها وأدبائها. وقد تجلت عبقريته ونباهته في سن مبكرة.

ساعدته مكتبة والده العامرة بذخائر التراث العربي..

وكتب الفلسفة.. ودواوين الشعر العربي على تنمية هواية المطالعة وتثقيف نفسه ذاتيا.

من أعماله الشعرية:

- الامواج.
- أشعة ملونة.
- الاغوار.
- التيار.
- حصاد السجن.

توفي الشاعر في السابع والعشرين من حزيران 1977. وكان آخر ما قاله:

يــا عــودة للــدار مــا أقســاها　　　أسمـــع بغــداد ولا أراهـــا

-1-

كل ذرات هذه الأرض كانت

أوجها كالشموس ذات بهاء

أجل عن وجهك الغبار برفق

فهو خد لكاعب حسناء

-2-

ان تواعدتم رفاقي لانس

وسعدتم بالغادة الهيفاء

وأدار الساقي كؤوس الحميا

فاذكروني في شربها بالدعاء

-3-

ان تلاقيتم أخلاي يوما

فأطيلوا ذكراي عند اللقاء

واذا ما أتى لدى الشرب دوري

فأريقوا كأسي على الغبراء

-4-

قال قوم ما أطيب الحور في الجنـ

ـة قلت المدام عندي أطيب

فاغنم النقد واترك الدين واعلم

ان صوت الطبول في البعد أعذب

-5 - أتى بي لهذا الكون مضطريا فلم

تزد لي الا حيرة وتعجب

وعدت على كره ولم أدر أنني

لماذا أتيت الكون أو فيم أذهب

-6-

جاء من حاننا النداء سحيرا

يا خليعا قد هام بالحانات

قم لكي نلأ الكؤوس مداما

قبل أن تمتلي كؤوس الحياة

-7-

يا عالما بجميع أسرار الورى

ونصيرهم في العجز والكربات

كن قابلا عذري اليك وتوبتي

يا قابل الاعذار والتوبات

-8-

لا تخشى حادثة الزمان فانها

ليست بدائمة علينا سرمدا

واغنم قصير العمر في طرب ولا

تحزن على أمس ولا تخشى الغدا

-9-

كان هذا الكوز مثلي عاشقا

والها في صدغ ظبي أغيد

وأرى عروته كانت يدا

طوقت جيد حبيب أجيد

-10-

ما أسرع ما يسير ركب العمر

قم فاغنم الهنا والبشر

دع هم غد لمن يهمون به

والليل سينقضي فجيء بالخمر

-11-

أتدري لماذا يصبح الديك صائحاً

يردد لحن النوح في غرة الفجر

ينادي لقد مرت من العمر ليلة

وها أنت لم تشعر بذاك ولا تدري

-12-

ان الذين ترحلوا من قبلنا

نزلوا بأجداث الغرور وناموا

اشرب وخذ هذي الحقيقة من فمي

كل الذي قالوا لنا أوهام

-13-

أتمنى ديوان شعر ونصفا

من رغيف وكوز صهباء حان

وجلوسا مع الحبيب بقفر

ذاك خير من ملك ذي سلطان

-14-

دع ذكر أمس فهو قد مر ودع

ذكر غد فانه ما وردا

لا تعن فيما لم يرد وما مضى

واشرب لئلا يذهب العمر سدى

-15-

قد انطى سفر الشباب واغتدى

ربيع أفراحي شتاء مجديا

لهفي لطير كان يدعى بالصبا

متى ألا وأي وقت ذهبا

-16-

كم سرت طفلا لتحصيل العلوم وكم

أصبحت من بعد تدريس لها طربا

فاسمع ختام حديثي ما بلغت سوى

اني بدئت ترابا ثم عدت هبا

-17-

الى الحان أغدو كل يوم مبكرا

وأصحب فيه ثم أهل الخلاعات

فيا عالم الأسرار هبني هداية

ورشدا لاغدو للدعا والمناجاة

-18-

أما ترى الأزهار فيها عبثت يد الصبا

ومن جمالها غدا البلبل يشدو طربا

فبادر الزهر ودع عنك الأسى والكربا

فهذه الأزهار كم زهت وكم عادت هبا

-19-

هذا أوان الصبوح والطرب

ونحن والحان وابنة العنب

أصمت نديمة هل ذا محل تقى

واشرب وخل الحديث واجتنب

-20-

لم أشرب الراح لاجل الطرب

أو ترك ديني واطراح الادب

رمت الحياة دون عقل لحظة

فهمت بالسكر لهذا السبب

-21-

ما خلق الله راحة وهنا

الا لمن عاشر مفردا عزبا

من ترك الانفراد واقترنا

فقد جنى بعد راحة تعبا

-22-

انظر حسابك ما أتيت به وما

تغدو به من بد مهما تذهب

أتقول لا أحسو الطلا خوف الردى

ستموت ان تشرب وان لم تشرب

-23-

دعى للصبوح مليك النهار

ولاح سنا الفجر فوق السطوح

ونادى منادي الالى بكروا

الا فاشربوا آن وقت الصبوح

-24-

ليس لذا العالم ابتداء

يبدو ولا غاية وحد

ولم أجد من يقول حقا

من أين جئنا وأين نغدو

-25-

لئن جالست من تهواه عمرا

وذقت جميع لذات الوجود

فسوف تفارق الدنيا كأن

الذي شاهدت حلم في هجود

-26-

قال شيخ لمومس أنت سكرى

كل أن بصاحب لك وجد

فأجابت اني كما قلت لكن

أنت حقا كما لدى الناس تبدو؟

-27-

كقطرة عادت إلى الخصم أو

كذرة قد رجعت إلى الثرى

أتيت للدنيا وعدت حاكيا

ذبابة بدت وغابت اثرا

-28-

رأيت في حانة شيخا فقلت له

ألا تخبرنا عمن مضوا خبرا

قال ارتشفها فكم أمثالنا رحلوا

ولم يعودوا ولم نشهد لهم أثرا

-29-

يقولون حور في الغداة وجنة

وثمة أنهار من الشهد والخمر

اذا اخترت خوراء هنا ومدامة

فما اليأس في ذا وهو عاقبة الأمر

-30-

انظر العمر كيف يمضي حزينا

فابتغوه فسوف يودي ويقضي

ما رأيت الهناء عمري فلهفي

لحياة كذا تمر وتمضي

-31-

قد كان يدري اللّه كل فعالنا

من يوم صور طيننا وبرانا

لم نرتكب ذنبا بدون قضائه

فاذن لماذا ندخل النيرانا؟...

الحواشي.. وثبت المصادر والمراجع

تبعد نيسابور عن طهران (767) كيلو متر. وقد شيدت في القرن الثالث الميلادي بأمر من الملك سابور الأول.

1. خراسان اليوم يبلغ عدد سكانها حوالي 3.166000 نسمة. وأهم مدنها: مشهد. جناباد. كاشمر. نيسابور..
2. عمر الخيام الحكيم الياضي النيسابوري، أحمد حامد الصراف، ط3، ص46، منشورات مكتبة المثنى ببغداد، 1961.
3. ثورة الخيام، عبد الحق فاضل ط2، الصفحات 142 – 147، دار العلم للملايين، 1968.
4. تاريخ دولة ال سلجوق، عماد الدين الاصفهاني، منشورات دار الافاق الجديدة.
5. الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين عن ديار المسلمين تحقيق د. سهيل زكار، ص 24 -26، مكتبة دار الملاح.
6. تاريخ دولة ال سلجوق، ص
7. يقول محمد بن عبد الوهاب القزويني في تعليقه على حواشي جهار مقاله:

يبدو اختلاف النسخ في هذه الجملة مهما. ذلك أن نسخة . برون . التي نقلت عن نسخة استنبول التي هي أصح وأقدم النسخ الأربع لكتاب جهار مقاله والتي نسخت في مدينة هرأة سنة . 1431م . تنص على كلمة "أربع سنوات" كما نرى، أما النسخ الثلاث الأخرى نسختا المتحف البريطاني بلندن، والنسخة المطبوعة في طهران، فتنص على كلمة "بضع سنين" فاذا صحت رواية نسخة استنبول. فان وفاة الخيام تقع في "1131م" لا في "1123م" أو1121م كما هو مشهور.

8. جهار مقاله "المقالات الأربع، النظامي العروضي السمر قندي، نقله للعربية عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، ص69 -70، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1949.
9. جهار مقاله، ص70.
10. اثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص474، ط صادر

11. كنوز من الفكر العربي، د. أسامة عانوتي، ص129 -130، الأهلية للنشر والتوزيع، 1981.
12. ترجمة عبد الحق فاضل.
13. ترجمة أحمد الصافي النجفي.
14. ترجمة أحمد الصافي النجفي.
15. ثورة الخيام، ص107.
16. ترجمة أحمد رامي.
17. ترجمة أحمد الصافي النجفي.
18. دراسات في التراث العربي، هاني الخير، مؤسسة العلاقات الاقتصادية بدمشق، ص 111.
19. تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي ص 47.
20. جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي، خالد العسلي، ص 20، المكتبة الأهلية بغداد، 1965.
21. دراسات في التراث العربي، ص110.
22. ترجمة أحمد حامد الصراف.
23. ترجمة أحمد حامد الصراف.
24. ترجمة أحمد الصافي النجفي.
25. عمر الخيام، ص129.
26. ترجمة أحمد الصافي النجفي.
27. ترجمة عبد الحق فاضل.
28. مجلة الهلال، حزيران 1938، ص 886.
29. ترجمة أحمد رامي.
30. ترجمة أحمد رامي.
31. تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمن، ج2، ص130 -131.
32. عمر الخيام، ص 97.
33. ترجمة عبد الحق فاضل.

34. ترجمة أحمد حامد الصراف.

35. ترجمة أحمد الصافي النجفي.

36. رباعيات الخيام، تعريب وديع البستاني، ص24.

37. جريدة البعث السورية، العدد 5735، 8 -11 -981 زاوية بقلم هاني الخير.

38. ثورة الخيام، ص32 -33.

39. المصدر السابق ص 34.

40. ثورة الخيام، ص 41 -42.

41. مقابلة شخصية مع المرحوم محمد الفراتي.

42. ترجمة أبو النصر مبشر الطرازي.

43. كشف اللثام عن رباعيات الخيام، ص 72، ط القاهرة.

44. ترجمة الطرازي.

45. ترجمة الطرازي.

46. ترجمة الطرازي.

47. ترجمة الطرازي.

48. رباعيات الخيام، وديع البستاني.

49. ترجمة أحمد السافي النجفي.

50. ترجمة وديع البستاني.

51. فنون الشعر الفارسي، د. اسعاد عبد الهادي قنديل ص 169 -170، دار الاندلس بيروت 1981.

52. مقابلة شخصية مع المرحوم محمد الفراتي.

53. الدعوة الاسماعيلية الجديدة "الحشيشية، برنارد لويس ترجمة د. سهيل زكار، ص دار الفكر 1971.

54. الادب المقارن، محمد غنيمي هلال، ص ، ط4 مكتبة الانجلو المصري.

55. العربي العدد 219، فبراير 1977، مقال للدكتور زكي نجيب محمود، بعنوان ترجمة الماضي إلى الحاضر.

56. كشف اللثام ص 225

57. حواشي جهار مقاله، ص160.

58. رباعيات الخيام، تعريب البستاني.

59. حصاد الهشيم، ابراهيم عبد القادر المازني، المطبعة العصرية بمصر، ص93.

60. حصاد الهشيم، ص90 - 91.

61. ترجمة المازني.

62. ترجمة المازني.

63. ترجمة المازني.

64. رباعيات الخيام، أحمد رامي، مكتبة الخانجي، ص 22 - 24، ط5.

65. مقابلة شخصية مع المرحوم الشاعر بدوي الجبل.

66. أدباء معاصرون، رجاء النقاش، كتاب الهلال.

67. رباعيات الخيام، تعريب أحمد الصافي النجفي، ص 5 - 4.

68. هذه الشهادات من مقدمة كتاب رباعيات الخيام، تعريب أحمد الصافي النجفي.

69. من حوار أجريته معه ولم أنشره حتى هذا التاريخ.

70. عمر الخيام بين الكفر والإيمان، د. احسان حقي، ص 19 - 20، دار النفائس.

71. جريدة الصباح الدمشقية، العدد 61، الاثنين 29 آذار 1943.

72. المصدر السابق.

73. الشاعر أحمد الصافي النجفي، د. ابراهيم الكيلاني، ص 238، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

74. ترجمة ابراهيم العريض.

75. رباعيات الخيام، ترجمة ابراهيم العريض، ص30، دار العلم للملايين.

76. مجلة الدوحة القطرية، السنة السادسة، العدد 70، 1981.

77. سباعيات لرباعيات الخيام، المهندس محمد جميل العقيلي مطبعة الاتحاد . اللاذقية.

78. مجلة الايمان العدد 2، نيسان 1958.

79. رباعيات عمر الخيام ترجمة نويل عبد الاحد، منشورات مطبعة الحياة 1958.

80. مجلة العرفان اللبنانية، شباط، 1972.

81. فن الترجمة في الأدب العربي، محمد عبد الغني حسن، ص94.
82. المصدر السابق.
83. مقابلة شخصية مع الاستاذ علي خلقي. أحد رواد القصة القصيرة في سورية.
84. قلعة الموت، عمر أبو لنصر، ط2، 1970.
85. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، المطبعة الكبرى بمصر.
86. رباعيات الخيام، محمد السباعي، المكتبة التجارية.
87. رباعيات الخيام، ترجمة د. ابراهيم زكي أبو شادي.
88. مجلة الدراسات الأدبية، السنة السادسة، العددان 1و2 "1965".
89. مجلة الدراسات الأدبية، السنة السابعة، العددان 3و4 "1964".
90. مجلة الدوحة، العدد 61، 1981.
91. الاسماعيليون والدعوة الإسماعيلية بمصياف، ميشيل لباد، مطبعة الاتحاد، 1962.
92. المعجم الأدبي، جبران عبد النور.

الفهرس

عمر الخيام شهادة بقلم الأديب عبد القادر الحصني 5

لمحة عامة عن عمر الخيام 11

من قصص غراميات عمر الخيام 19

رباعيات عمر الخيام تعريب أحمد رامي 42

الوثائق التاريخية التي وردت فيها أخبار الخيام 110

عقيدة الخيام وفلسفته 116

مؤلفات الخيام 123

حول رباعيات الخيّام 125

اشتهار عمر الخيام في العصر الحديث 136

رباعيات الخيام في العربية 140

نماذج من ترجمات عمر الخيام 163

مختارات من ترجمة أحمد الصافي النجفي 173

الحواشي و ثبت المراجع 182